نوور عيني

المحاضرة الاولى

العولمة والثقافة

اولاً : العولمة .. النشأة والمفهوم

يذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة ليست وليدة؛ بل هي عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل ترجع إلى بداية القرن الخامس عشر إلى زمن النهضة الأوروبية الحديثة حيث نشأت المجتمعات القومية .. فبدأت العولمة ببزوغ ظاهرة الدولة القومية عندما حلت الدولة محل الإقطاعية، مما زاد في توسيع نطاق السوق ليشمل الأمة بأسرها بعد أن كان محدوداً بحدود المقاطعة .

إن الدعوة إلى إقامة حكومة عالمية، ونظام مالي عالمي موحد والتخلص من السيادة القومية بدأت في الخطاب السياسي الغربي منذ فترة طويلة فهذا هتلر يقول في خطابه أمام الرايخ الثالث :" سوف تستخدم الاشتراكية الدولية ثورتها لإقامة نظام عالمي جديد" وفي كتابات الطبقة المستنيرة عام 1780:" من الضروري أن نقيم إمبراطورية عالمية تحكم العالم كله "

وجاء في إعلان حقوق الإنسان الثاني عام 1973 :" إننا نأسف بشدة لتقسيم الجنس البشري على أسس قومية . لقد وصلنا إلى نقطة تحول في التاريخ البشري حيث يكون أحسن اختيار هو تجاوز حدود السياسة القومية ، والتحرك نحو بناء نظام عالمي مبني على أساس إقامة حكومة فيدرالية تتخطى الحدود القومية "

ولفظة العولمة هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي ((Globalizationوبعضهم يترجمها بالكونية، وبعضهم يترجمه بالكوكبة، وبعضهم بالشوملة ، إلا إنه في الآونة الأخيرة أشتهر بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح هو أكثر الترجمات شيوعاً بين أهل الساسة والاقتصاد والإعلام . وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي يعني تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. يقول "عبد الصبور شاهين " عضو مجمع اللغة العربية :" فأما العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي ... وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة ، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل"

وكثرت الأقوال حول تعريف معنى العولمة حتى أنك لا تجد تعريفاً جامعاً مانعاً يحوي جميع التعريفات وذلك لغموض مفهوم العولمة ، ولاختلافات وجهة الباحثين فتجد للاقتصاديين تعريف ، وللسياسيين تعريف ، وللاجتماعيين تعريف وهكذا ، ويمكن تقسيم هذه التعريفات إلى ثلاثة أنواع : ظاهرة اقتصادية ، وهيمنة أمريكية ، وثورة تكنولوجية واجتماعية.

النوع الأول : أن العولمة ظاهرة اقتصادية:

عرفها الصندوق الدولي بأنها :" التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتّمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله.

وعرفها "روبنز ريكابيرو" الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والنمو ـ بأنها :"العملية التي تملي على المنتجين والمستثمرين التصرف وكأن الاقتصاد العالمي يتكون من سوق واحدة ومنطقة إنتاج واحدة مقسمة إلى مناطق اقتصادية وليس إلى اقتصاديات وطنية مرتبطة بعلاقات تجارية واستثمارية.

وقال محمد الأطرش :" تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة ، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق ، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة ، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات.

وعند صادق العظم هي :" حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها ، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ.

التعريف الثاني : إنها الهيمنة الأمريكية :

قال محمد الجابري :" العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، على بلدان العالم أجمع .فهي بهذا التعريف تكون العولمة دعوة إلى تبنى إيديولوجية معينة تعبر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم . ولعل المفكر الأمريكي " فرانسيس فوكوياما " صاحب كتاب " نهاية التاريخ "يعبر عن هذا الاتجاه فهو يرى أن نهاية الحرب الباردة تمثل المحصلة النهائية للمعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وهي الحقبة التي تم فيها هيمنة التكنولوجيا الأمريكية

التعريف الثالث : إنها ثورة تكنولوجية واجتماعية :

يقول الاجتماعي "جيمس روزناو" في تعريفها قائلاً :" العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل : الاقتصاد، السياسة ، الثقافة ، الايديولوجيا ، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج ، تداخل الصناعات عبر الحدود ، انتشار أسواق التويل ، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول ، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة.وعرفها بعضهم بأنها : "الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبياً كرة اجتماعية بلا حدود . أي أن الحدود الجغرافية لا يعتبر بها حيث يصبح العالم أكثر اتصالاً مما يجعل الحياة الاجتماعية متداخلة بين الأمم" .

فهو يرى أن العولمة شكل جديد من أشكال النشاط ، فهي امتداد طبيعي لانسياب المعارف ويسر تداولها تم فيه الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم ما بعد الصناعي للعلاقات الصناعية .

وهناك من يعرفها بأنها:" زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات".وعرفها إسماعيل صبري تعريفاً شاملاً فقال :" هي التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية

وبعد قراءة هذه التعريفات ، يمكن أن يقال في تعريف العولمة : أنها سرعة تدفق السلع والخدمات والأموال والأفكار والبشر بين العالم بغير حدود ولا قيود باستخدام الوسائل الإعلامية ، والشركات الرأسمالية الكبرى وتعميمها على العالم.

ومن أبرز تعريفات العولمة :

1- إخضاع العالم لقوانين مشتركة تضع حدًّا فيه لكل أنواع السيادة .
2- صياغة جديدة لخطوات إطارية قديمة غرضها الباقي المستمر هو تكريس الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية للقوى وتوطيدها.
3- سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية كلها.
4- استعمار جديد أقل تكلفة من سابقه.
5- صيرورة العالم واحدًا
6- توجه ودعوة تهدف إلى صياغة حياة الناس لدى جميع الأمم ومختلف الدول وفق أساليب ومناهج موحدة بين البشر، وإضعاف الأساليب والمناهج الخاصة.

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة التركيز على معنى الهيمنة والإخضاع عند المنتقدين للعولمة بناء على خلفيتهم الثقافية؛ إلا أن بعض التعريفات نحت منحى آخر يركز على جوانب التفاعل والتقارب بين الأمم والشعوب، **ومن أمثلة ذلك:**

1- التبادل الثقافي والتجاري وغيرها للتقارب والاستفادة المتبادلة
2- التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلى إجراءات حكومية
3- سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني.
4- اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق.
5- مرحلة جديدة من مراحل بروز وتطور الحداثة تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج، ويتم فيها ربط المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية

6- دمج سكان العالم اقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا في مجتمع عالمي واحد بحيث يصبح كل من على كوكب الأرض جيرانًا في عالم واحد.

ويبدو أن هذه المجموعة الأخيرة من المعرفين مالت إلى الجانب النظري والشعارات المعلنة لمسيري العولمة اليوم. ونظرت بطريقة مثالية غير واقعية؛ لأن هذا التبادل الثقافي والتجاري والدمج العادل بين سكان العالم لا يحصل إلا بين الأنداد المتقاربين في القوة فإنهم حينئذٍ يمتلكون القدرة على الاختيار والانتقاء، أو الرفض والإباء.

أما المجموعة الأولى من المعرفين فقد غلبت الجانب الواقعي الذي نعيشه اليوم للعولمة؛ لأن الأقوياء فقط - وهم قلة - يختارون ما يفرضونه على الضعفاء وهم كثرة، فيفرضون التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية،

ثانياً : أهداف العولمة

تسعى العولمة دائماً إلى تحقيق الأهداف التالية :

1-الوصول إلى سوق عالمي مفتوح بدون حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية أو قيود مادية أو معازل عرقية أو جنسية أو معنوية أو عاطفية.

بما يعني إقامة سوق متسع ممتد يشمل العالم كله ويشمل كل مؤسساته وأفراده.

أي الوصول بالعالم كله إلى أن يصبح كتلة واحدة متكاملة ومتفاعلة وفي نطاق هذا الهدف يتم احتكار مباشر وغير مباشر بين كافة الأجناس البشرية بموروثهم الحضاري وثقافتهم المتعددة واختلافهم الفكري وصهر هذا الاختلاف في بوتقة التوحيد والائتلاف ولا ننسى أن ذلك من وجهة نظر مصدري العولمة

3-الوصول الى شكل من أشكال التجانس العالمي سواء من خلال تقليل الفوارق في مستويات المعيشة أو في الحدود الدنيا لمتطلبات الحياة أو في حقوق الانسان وخاصة أن هذا التجانس لا يكون بالتماثل ولكنه قائم على التعددية والتنوع وعلى التشكيل الدافع والحافز الى الارتقاء والتطور الذي يرتفع بجودة الحياة ومن ثم تختفي الأحقاد والمطامع وتزداد المودة والألفة ومن ثم يتحول الانتماء والولاء إلى رابطة إنسانية عامة شاملة تشمل كل البشر وتتحول قيمة الحياة معها إلى قيمة الحرية وقيم العدل وقيم المساواة .

4-تنمية الاتجاه نحو إيجاد لغة اصطلاحية واحدة تتحول بالتدريج إلى لغة وحيدة للعالم يتم استخدامها وتبادلها سواء بالتخاطب بين البشر أو بين الحاسبات الالكترونية أو ما بين مراكز تبادل البيانات وتخليق وصناعة المعلومات وإن كان هذا هدف بعيد التحقق في المدى القريب .

5-الوصول إلى وحدة الإنسانية جمعاء ويستخدم لتحقيق هذا الهدف قدر متعاظم من الحراك الحضاري لتأكيد وفرض الهوية العالمية ولتحقيق تحسينات مضافه في الوجدان والضمير الإنساني وتنمية الإحساس بوحدة البشر ووحدة الحقوق لكل منهم سواء ما كان مرتبطاً بحق الحياة وحق الوجود وحق الاستمرار

6-تعميق الإحساس والشعور العام والمضمون الجوهري بالإنسانية وإزالة كل أشكال التعصب والتمايز العنصري والنوعي وصولاً إلى عالم إنساني بعيداً عن التعصبات والتناقضات الأثنية أو العرقية أو الطائفية تحت أي شكل من أشكال التمييز .

7-انبعاث وبعث رؤية جديدة بمثابة حركة تنوير كبرى واستبصار وتبصير فاعله تسرى وتداعب طموحات البشر باختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم وتخاطب أحلامهم ومن ثم تصبح الرؤية فاعلة في المنظور البشري سواء من حيث الضمير أو من حيث الطموحات

ثالثاً : بين العولمة والثقافة

يلعب مفهوم الثقافة Culture دوراً بارزاً في مختلف العلوم الإنسانية وخاصة العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع Sociology وعلم الانسان Anthropology وعلم الإدارة Management وعلم النفس Psychology

ويهتم علم الأنثروبولوجيا الثقافية Culture Anthropology بدراسة الثقافات المختلفة ويتخذها محوراً لاهتمامه هو.

السمة الغالبة لهذا العلم تؤكد على الإطار الثقافي كما تطور من الماضي إلى الحاضر .

ومعظم الباحثين يعدون الثقافة مجرد مجال من مجالات العولمة شأنها في ذلك شأن السياسة والاقتصاد.

إلا أن نظرة فاحصة لأهداف العولمة وبرامج من يسعون في صبغ العالم بها تؤكد عدم دقة هذه النظرة ذلك أن العولمة الثقافية هي الهدف النهائي، وما العولمة الاقتصادية والسياسية إلا وسائل للوصول إلى هذا الهدف، ومن الشواهد الواضحة على ذلك السعي إلى فرض القيم التي تحملها الثقافة الأمريكية اليوم على الأمم الأخرى، ومنها الأمة المسلمة وما يتبع ذلك من استخدام السياسة والاقتصاد كوسائل لتحقيق هذا الهدف؛ فمنزلة الثقافة من العولمة بمنزلة الرأس من الجسد.

ويعتبر إدوارد تايلور E.Tylorأول من وضع تعريفاً للثقافة بأنها ذلك الكل الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والعادات وأي قدرات اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع .

وقد عرفها كروبير Kroeberبأنها كل ما صنعه عقل الإنسان من أشياء ومظاهر اجتماعية في بيئته الاجتماعية أي كل ما قام باختراعه وباكتشافه الإنسان وكان له دور في مجتمعه .

كما قدم البعض تعريفاً شاملاً للثقافة فهي في نظرهم تعني كل ما صنعه الإنسان في بيئته خلال تاريخه الطويل في مجتمع معين وتشمل اللغة والعادات والقيم وآداب السلوك العام والأدوات والمعرفة والمستويات

الاجتماعية والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والقضائية .

فهي تمثل التعبير الأصلي عن الخصوصية التاريخية

الثقافة تمثل التعبير الأصلي عن الخصوصيّة التاريخيّة لأمه من الأمم عن نظرة هذه الأمه الى الكون والحياه والموت والإنسان وقدراته وما ينبغي ان يعمل ومالا ينبغي ان يعمل او يأمل

لقد اصبح موضوع الثقافة محل اهتمام كثير من المهتمين في العلوم الإنسانية.

وهناك من يرى أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والقيم والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع وهناك من يرى ان الثقافة عبارة عن تنظيم يشمل مظاهر لأفعال وافكار ومشاعر يعبر عنها الإنسان عن طريق الرموز أو اللغة التي يتعامل معها.

على ان تلك المفاهيم جميعاً تدور حول معنى واحد وهو أن الثقافة كل مركب من مجموعة مختلفة من ألوان السلوك وأسلوب التفكير والتكامل والتوافق في الحياه التي اصطلح افراد مجتمع ما على قبولها.

فأصبحوا يتميزون بها عن غيرهم من باقي المجتمعات ويدخل في ذلك بالطبع المهارات والاتجاهات التي يكتسبها أفراد المجتمع وتناقلتها في صور واشكال مختلفة أجيال بعد اخرى عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي وعن طريق نقل تلك الخبرات من جيل الى جيل وقد يتناقلونها كما هي او يعدلون فيها وفق تغير الظروف وحاجتهم ولكن الجوهر يبقى كما هو.

الثقافة هي ذلك الجزء من البيئة الذي يقوم الانسان بنفسه على صنعه متمثلا في الأفكار والمثل والمعارف والمعتقدات والمهارات وطرق التفكير والعادات وطرق معيشة الافراد وقصصهم وموضوعات الجمال وادواته عندهم ووسائلهم في الانتاج.

الثقافة هي وليدة البيئة وثمرة التفاعل بين الأفراد لبيئاتهم لذلك كان من الطبيعي ان تعدداً بيناً وتختلف باختلاف البيئات، لأن هذه الأخيرة مختلفة اختلافاً واضحاً وكان من الطبيعي كذلك ان تتعدد تعريفاتها وتختلف.

على الرغم مما يظهر بين الثقافات من اختلاف أو تباين فهناك بعض الخصائص لجميع الثقافات هذه الخصائص التي تستند الى المفهوم العام الشامل **ومن هذه الخصائص العامة:**

١-الثقافه ذات خاصيه ماديه ومعنويه معاً: ثقافه المجتمع تحدد نمط واسلوب الحياة في هذا المجتمع والعناصر المادية هي عباره عن تلك العناصر التي اتت نتيجة للجهد الانساني العقلي والفكري وفي نفس الوقت لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها إلا بما يحيطها من معاني وافكار واتجاهات ومعارف وعادات.

٢-الثقافه عضويه: إذا كانت الثقافة تشتمل على العناصر المادية واللامادية معاً فإن كلاً من العناصر المادية وغير المادية يرتبط ببعضها البعض ارتباطاً عضوياً فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر كما يأثر به فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح.

٣-الثقافه مكتسبه: الثقافة ليست فطريه في الانسان بل يتعلمها الأفراد وينقلوها من جيل الى جيل ويخطئ من يذهب إلى اعتبار الثقافة فطريه في الانسان يكتسب الثقافة منذ سنواته الاولى حتى تصبح جزءاً من شخصيته كما يصبح هو عنصراً من عناصر هذه الثقافة.

٤-الثقافه تراكميه: تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك ان الانسان يبدأ دائماً من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلى آخر.

5-امكانية انتقال عناصر الثقافة بالاحتكاك: كلما زاد الاحتكاك والتعامل بين مجتمع وآخر كلما زادت درجة الانتقال الثقافي بين هذين المجتمعين ولكن المجتمع ذو الثقافة الاقوى والافضل يؤثر بدرجه اكبر في المجتمع الأضعف.

6- إن الثقافة يتم تعلمها ، بمعنى أنها مكتسبة . إذ أن الإنسان يكتسب عناصر الثقافة بالتعليم من المجتمع الذي يعيش فيه . بالإضافة إلى أنه يمكن نقل عناصر الثقافة عبر الأجيال المختلفة . وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان .

وتتميز الثقافة بتمايزها واستقلالها عن الأفراد الذين يحملونها ويمارسونها في حياتهم اليومية . ونجد أن العلماء الذين تعرضوا لمشكلة تعريف الثقافة يعطون أهمية كبرى لعنصر " التعليم " أو " الاكتساب " ويبعدون عنها بالتالي كل ما هو غريزي أو فطري أو موروث بيولوجيا . وعلى ذلك فإن معظم هذه التعريفات تؤكد أن الثقافة هي حصيلة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعي ، أو أنها حصيلة النشاط البشري ، وأن وجودها بذلك غير مرتبط بوجود الأفراد من حيث هم أفراد . وحين يتكلم علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع عن ثقافة شعب من الشعوب فإنهم يقصدون على العموم طرائق المعيشة وأنماط الحياة وقواعد العرف والتقاليد والفنون والتكنولوجيا السائدة في ذلك المجتمع والتي يكتسبها أعضاؤه ويلتزمون بها في سلوكهم وفي حياتهم .

8- الثقافة متغيره فهي في نمو مستمر وتغير دائم فأي تغير في عنصر من عناصرها يؤثر على غيره من العناصر.

9- تنبئيّة: بما انها تحدد سلوك وأسلوب الافراد بالإمكان التنبؤ بما يمكن ان يتصرف به فرد معين ينتمي الى ثقافه معينه

10- تراكميه :ان الثقافة ذات طابع تاريخي تراكمي عبر الزمن فهي تنتقل من جيل الى الجيل الذي يليه بحيث يبدأ الجيل التالي من حيث انتهى الجيل الذي قبله وهذا يساعد على ظهور أنساق ثقافيه جديده

وكما أن للثقافة خصائص تسعى الى إثباتها والحفاظ عليها ، فإن للعولمة خصائص أصبحت هي الأخرى تقاتل من أجل تحققها ومن تلك الخصائص المرتبطة بالعولمة ما يلي:

1-سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على اقتصاديات العالم.
2-بروز أحادية القطب التي تعد من أهم سمات العولمة.
والتي تتمثل في الهيمنة الأمريكية على العالم والسيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية. وامتلاك وسائل الاتصال والتكنولوجية المتقدمة.
3-تراجع دور الدولة وعجزها عن مواجهة الشركات متعددة الجنسيات التي حلت محل الدولة في بعض الدول المتقدمة .
4-تكوين نخبة من رجال الأعمال لا تنتمي إلى بلد معين، هدفها الأساسي السعي لنقل نشاطها في أي مكان وفق مقتضيات العائد المادي على نطاق عالمي .
5-تحقيق الوحدة والألفة والتكامل بين البشر دون اعتبار للعرق أو الثقافة أو الطبقة الاجتماعية أو الخلفية أو الطائفية
6-تؤدي العولمة إلى انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة وأخذ هذا الانقسام الشكل الثقافي والحضاري وأصبح أكثر وضوحاً من أي وقت مضى ويأتي هذا من منطلق الحفاظ على الهويات الوطنية

اسئلة المحاضرة الاولى :

السؤال الاول: عددى / عدد الأهداف التى تسعي العولمة الى تحقيقها.

السؤال الثاني: ((اشتهر في الآونة الأخيرة بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح من أكثر المصطلحات شيوعاً بين أهل الساسة والاقتصاد والإعلام)) اشرحى / اشرح العبارة السابقة في ضوء فهمك لمفهوم العولمة

المحاضرة الثانية

مجالات العولمة

مجالات العولمة

العولمة لم تكن على شكلّ واحد أو صورة واحدة ، بل هناك صور متعددة، ومختلفة، وكلّ صورة من هذه الصور، هي عولمة بحدّ ذاتها، لذا نستطيع القول بأنّ أشكال العولمة التي ظهرت حتى الآن، **وبنت لها مؤسسات وركائز في المجتمع هي:**

اولاً : العولمة الاقتصـــاديــة

يتفق أغلب الباحثين على أنّ العولمة كانت في البداية تعني عولمة اقتصادية وهي عملية سيادة نظام اقتصادي واحد، ينضوي تحته مختلف بلدان العالم في منظومة متشابكة من العلاقات الاقتصادية، تقوم على أساس تبادل الخدمات، والسلع، والمنتجات، والأسواق، ورؤوس الأموال . وهناك من يقول:" **إنّ العولمة** هي صناعة الأسواق التي تضمن عالمية التصدير والاستيراد".

وهي أيضاً "الاقتصاديات العالمية المفتوحة على بعضها، وهي أيديولوجيا، ومفاهيم الليبرالية الجديدة التي تدعو إلى تعميم الاقتصاد وتبادل، السلع، واتخاذ الدّولار معياراً للنّقد، وتحويل المجتمعات إلى مجتمعات منتجة (مجتمعات الدّول الصناعية) ومجتمعات مستهلكة (مجتمعات الدّول الناميّة ، وأصبح مظهر التأثّر الاستهلاكيّ للعولمة.

فالعولمة : هي التداخل الواضح لأمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السادة او الانتماء إلى وطن محدد أو الى دولة معينة ، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية .

وعلى المستوى الاقتصادي تفترض العولمة ان العمليات والمبادلات ألاقتصاديه تجري على نطاق عالمي بعيدا عن سيطرة الدولة القومية . بل إن الاقتصاد القومي أو الوطني يتحدد بهذه العمليات .

فاذا كان الفكر الليبرالي الجديد neoliberalهو الناظم الجوهري للعولمة فان الليبرالية الجديدة تتجه الان ضد الدولة القومية نفسها أي زادت تدخل ولجم على الصعيد القومي والعالمي ، وأن الفكرة المطروحة حاليا ان الرأسمالية ستنشط على المستوى الكوني مديره حركة رأس المال.

فأن الاقتصاد المعولم يقع خارج نطاق تحكم الدوله القوميه مما يزيد من امكانيات الصراع والتنافس ويزيد من دور الشركات متعددة الجنسيه ويحولها الى شركات فوق القوميه Trans-Nationورأس مال طليق بلا قاعدة وطنيه محدده وبإداره عالميه وأن الدوله القوميه فقدت الكثير من وظائفها كناظم وضابط اقتصادي وانتهاء الحرب الباردة ومن جانب آخر ساهم مع العولمة في تقليص لوظائف الدولة العسكرية الأخرى .

وقد أشار بعض الباحثين العرب المعروفين بالقول أنه ان صدرت الدعوة الى العولمة من بلد الى جماعه فمعنى ذلك تعميم نمط من الانماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل العالم كله وطالما أنه صدرت هذه الدعوة من الولايات الأمريكية المتحدة فأن الأمر يتعلق بالدعوة الى تعميم النموذج الأمريكي وفرض وفسح المجال ليشمل العالم كله.

ومن أهم ملامح العولمة الاقتصادية مع بداية القرن الواحد و العشرين :

- ❖ الاتجاه المتزايد نحو التكتل الاقتصادي للاستفادة من التطورات التقنية الهائلة
- ❖ تنامى دور الشركات متعددة الجنسية بتزايد أرباحها وتعاظم نفوذها في التجارة الدولية وفي الاستثمار
- ❖ تزايد دور المؤسسات المالية بشكل مباشر
- ❖ تدويل بعض المشكلات الاقتصادية مثل الفقر
- ❖ تعاظم دور الثورة التقنية العالمية وتأثيرها في الاقتصاد العالمي
- ❖ بروز ظاهرة القرية العالمية وتأثيرها في الاقتصاد العالمي
- ❖ تطور وسائل الاعلام وتأثيرها على طبيعة البشر
- ❖ تعاظم دور المعلوماتية والإدارة والمراقبة

و يعتبر نهاية القرن العشرين من ابرز التطورات الاقتصادية التي يشهده الاقتصاد العالمي ويشير مفهوم العولمة من المنظور الاقتصادي الى تحول العالم الى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد تعقيدا لتحقيق سيادة نظام اقتصادي واحد يتبادل فيه العالم الاعتماد على بعضه البعض من الخامات والسلع المنتجات والأسواق ثم شاع استخدام هذا المصطلح بداية في مجال المال والتجارة والاقتصاد ويضيف الاقتصاديون انه منذ بدء تطور وتضخم الشركات المتعددة الجنسيات فقط تطورت العولمة اقتصاديا ومعلوماتياً ويقوم البعد الاقتصادي للعولمة على مبدأ حرية التجارة الدولي

وهناك دول لم تستفيد من العولمة التي تواجه اوضاع وظروف في غاية الصعوبة منها:

1- عدم الاستقرار السياسي
2-عدم توافر البنية الاساسية
3-انخفاض رصيد رأس المال البشري.

مع التقدم والتطور تشكلت من خلال العلاقات الاقتصادية مؤسسات جديدة لها سلطة قومية (supranational) تتجلى في:

1. صندوق النقد الدولي
2. البنك الدولي
3. المنظمة العالمية للتجارة

تقوم المؤسسات الثلاثة على الوجه الخصوص القيادة المركزية للنظام الاقتصادي العالمي الجديد **وتسعى الى تحقيق مطلبين هما :**

المطلب الأول : عولمة النظام النقدي والمالي: تشكل العولمة المالية اكثر النشاطات الاقتصادية عولمة بعد بروز الاسواق المالية العالمية:

وخير ما نستشهد به في اثبات ظاهرة العولمة المالية هو الاتفاق المتعدد الاطراف الخاص بالاستثمارات والتي تم صياغتها بمنتهى السرية في ايطار منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية .

المطلب الثاني: تحرير التجارة الدولية :
واجهت مسيرة تحرير التجارة الدولية وقيامها على أساس مبادئ التبادل المتكافئ والتوزيع العادل لثمار المبادلات التجارية الدولية مقاومة شديدة ومتواصلة وخصوصاً من قبل الدول الصناعية المتقدمة التى امتلكت على الدوام الوسائل الكافية التى تمكنها من تعويض شروط المنافسة الكاملة وخلق ما يعرف " بظاهرة الفشل السوقى " فهذه الدول تحديدا هي التى ابتكرت وصممت عبر التاريخ مختلف أنواع السياسات الحمائية والحواجز التجارية الجمركية وغير الجمركية، وحتى عندما أخذ عدد كبير من البلدان النامية حديثة العهد بالأستقلال لمنهج أحلال الواردات أو لسياسة الاعتماد على الذات

وهناك دول لم تستفيد من العولمة التي تواجه اوضاع وظروف في غاية الصعوبة منها:

1- عدم الاستقرار السياسي
2-عدم توافر البنية الاساسية
3-انخفاض رصيد رأس المال البشري.

مع التقدم والتطور تشكلت من خلال العلاقات الاقتصادية مؤسسات جديدة لها سلطة قومية (supranational) تتجلى في:

1. صندوق النقد الدولي
2. البنك الدولي
3. المنظمة العالمية للتجارة

ثانياً : العولمة السياسية

إن الجانب السياسي للعولمة وهو جانب الحرية والديمقراطية وهو جانب دفعت من أجلة شعوب العالم باختلاف نماذجها ثمناً غالياً من دماء أبنائها ولا تزال تدفع كل يوم ضريبة دم جديدة من إجل إحقاقها.
إن الديمقراطية الحرة لم تعد مجرد شعارات زائفة يمكن إرجاء تطبيقها أو يمكن تزويد إرادة الشعوب فيها بل أصبحت حتمية فرضية من حتميات الحياة الحرة الكريمة ومعها أخذت قلاع الظلم والطغيان والجبروت والتسلط تنهار وتدك حصونها واحداً بعد الآخر أثارت العولمة الكثير من الأسئلة وأثارت كل كوامن الفكر بشأن ولادة مرحلة كونية جديدة.

إن العولمة في المنظور السياسي :تعنى أن الدولة لا تكون هى الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات ومنظمات عالمية وجماعات دولية وغيرها .
ويقوم الجانب السياسي للعولمة على :
الحرية في صورها المتعددة حرية العقيدة والفكر والتعبير وحرية الانضمام إلى التنظيمات السياسية وتشكل الاحزاب والانتخاب وحرية الاختيار .
ومن المظاهر السياسية للعولمة :
سقوط النظم الديكتاتورية والشمولية والاتجاه إلى الديمقراطية والنزوع إلى التعددية السياسية وتأكيد احترام وصيانة حقوق الانسان ، واحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية طبقاً لميثاق الأمم المتحدة ، ويعتبر مبدأ التدخل لأغراض إنسانية أو التدخل الدولي الإنساني مثلاً حياً لذلك الاهتمام .

ثالثاً : العولمة الثقافية

معظم الباحثين يعدون الثقافة مجرد مجال من مجالات العولمة شأنها فى ذلك شأن السياسة والاقتصاد .إلا أن نظرة فاحصة لأهداف العولمة وبرامج من يسعون في صبغ العالم بها تؤكد عدم دقة هذه النظرة ذلك أن العولمة الثقافية هى الهدف النهائي ، وما العولمة الاقتصادية والسياسية إلا وسائل للوصول إلى هذا الهدف .
ترجع أهمية الثقافة الى أنها : تعبير عن الهوية المستقلة لمجتمع ما ، ولكون العولمة تقتضى الذوبان والتلاشي للهويات المستقلة ليصير العالم واحداً ،فلابد إذن من طمس الثقافة المحلية بما تحمله من قيم واخلاق وعقائد .

ارتبط المفهوم الثقافى للعولمة بفكرة التنميط Uniformalisatisationأو التوحيد Unificationالثقافى العالمى على حد التعبير التى استخدمتها لجنة اليونسكو العالمية للإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية من أجل التنمية التى عقدت فى اجتماعاتها في مدينة استكهولم عام 1998فقد رأت اللجنة أن التنميط الثقافى يتم استغلال ثروة وشيكة الاتصالات العالمية وهيكلها الاقتصادى الإنتاجى والمتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال.
وتلعب الثقافة دورا مهماً فى حياة الإنسان ، وأنها هى التى تميز بين فرد وآخر وبين مجتمع وآخر بل أن الثقافة هى التى تميز الجنس البشرى عن غيرة من الأجناس ، لأن الثقافة هى التى تؤكد الصفة الإنسانية فى الجنس البشرى .

ومن أهم التعريفات للثقافة هو تعريف إدوارد تايلور Edward Tylorالذى عرف الثقافة على أنها كل مركب يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التى يكتسبها الإنسان باعتباره عضو فى المجتمع ويبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس فى جماعة كالاخلاق والقانون والعرف الذي ينشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي .

ونظراً لتنوع وتعدد تعريفات الثقافة بشكل يصعب حصرة . ركز مؤلفو كتاب نظرية الثقافة على اتجاهين واضحين في تلك التعريفات وإنى كان بينهما تنافس . ينظر أحدهما للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والايدولوجيات ، وغيرها من المنتجات العقلية .
أما الأتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلى لمجتمع ما والعلاقات التى تربط بين أفراده وتوجهات هؤلاء الأفراد فى حياتهم واستمدوا منها ثلاثة مفاهيم تمثل الثقافة فى نظرهم وهى :
1- التجهيزات الثقافية .
2- العلاقات الاجتماعي .
3- أنماط وأساليب الحياة .

وإزاء تحدى العولمة الثقافية ببعض الواجبات الأساسية ومنها :

1- تدعيم الهوية الثقافية والوطنية دون إغلاق الأبواب أمام الثقافات الاخرى

2- السعي لاستخدام اللغة العربية السليمة والبسيطة في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري .

3- إيجاد توازن بين رسائل المؤسسات التي تعنى بالجوانب الثقافية والتعليمية ورسائلها التي تعنى بالترفيه والتسلية .

4- دعم القيم الدينية والروحية انطلاقا من دور الدين فى تاريخ العرب وتراثهم وحياتهم المعاصرة .

5- تحليل ونقد الرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الإعلام وما تحمله من قيم قد لا تتفق والقيم الدينية والروحية العربية والاسلامية أو تتعارض مع سياسات التنمية .

6- الحفاظ على التراث الثقافي وإثرائه بالربط بين الموروث الثقافي والابداعات المعاصرة .

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((يتفق أغلب الباحثين على أنّ العولمة كانت في البداية تعني عولمة اقتصادية))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة في ضوء دراستك لعولمة المجال الاقتصادي

السؤال الثاني:

((على الرغم مما يظهر بين الثقافات من اختلاف أو تباين الا ان هناك بعض الخصائص لجميع الثقافات))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة في ضوء فهمك لخصائص الثقافة

المحاضرة الثالثة

الاسلام بين العولمة والعالمية

اولاً : الاسلام بين العولمة والعالمية

العولمة والعالمية مصطلحان يصعب التفرقة بينهما ، وبعض المفكرين يذهبون أنهما بنفس المعنى وليس بينهما فرق ، ولكن الحقيقة أن هذين المصطلحين يختلفان في المعنى فهما مقابلة بين الشر والخير .

- **العالمية :** انفتاح على العالم واحتكاك بالثقافات الأخرى مع المحافظة على قيم الأمة وفكرها وهي من مميزات الدين الإسلامي .
- **العولمة :** انسلاخ عن قيم ومبادئ الأمة وإلغاء شخصيتها ، وتكريس الفردية ونزع روح الجماعة ،وتبقى السيطرة لبعض الأفراد والجماعات فقط على كل مقدرات الأفراد .

وهنا نرى الفرق بين العالمية والعولمة : أن العالمية تحترم خصوصية الثقافات الأخرى وتتفاعل معها وتشترك في قيم مطلقة مثل أصل الخلقة . أما العولمة فإنها محاولة فرض ثقافة الدول الأقوى ماديا على باقي الشعوب .

«العولمة» من المصطلحات التي نشأنا عليها لدرجة لم تعد تلفت انتباهنا.. وهي - كما يوحي اسمها - مشتقة من العالمية وتوحد العالم في بوتقة واحدة ومظهر مشترك..

وهذا التوحد له وجه ثقافي (بحيث يتبنى العالم ثقافة عالمية مشتركة) وجانب اقتصادي (يوحد أنظمة الاقتصاد وقوانين التجارة الدولية) وجانب سياسي (يمثله طغيان النموذج الأمريكي والهيمنة الغربية)..

وكل هذه الوجوه تقتضي تجاوز الحدود الجغرافية واندماج الثقافات المحلية وذوبان الهوية الداخلية.. وبصرف النظر عن رأينا في الموضوع تسير العولمة بسرعة مخيفة لتحقيق هذا الهدف لدرجة أصبح أطفال العالم متشابهين وأكثر تعلقا بأفكار وثقافات ومنتجات عالمية مشتركة!!

والسؤال المهم هنا:

- هل مظاهر العولمة هذه إفراز طبيعي، أم فعل مقصود يدخل ضمن نظرية المؤامرة؟

- هل هي نتاج طبيعي لانتشار الانترنت وتقنيات الاتصال وقدرتنا على السفر (وتحول العالم لقرية صغيرة) أم أنها مؤامرة مقصودة من الدول الكبرى لتعميم منتجاتها الثقافية والاقتصادية على الأمم الأخرى؟

لن نحاول تحديد الجواب الصحيح لسببين؛ (الأول) تداخل الفعلين، و(الثاني) أن أي رأي سنختاره سيكون له معارضون يملكون حق النقض بمستوى الطرف الآخر!

المهم في نظرنا هو إدراكنا للفرق بين العولمة والعالمية.. فرغم أن الأولى مشتقة من الثانية إلا أنني شخصيا أرى فرقا كبيرا بينهما.. فالعولمة فعل مفروض يتطلب انصهار الجميع في بوتقة واحدة؛ في حين تعني العالمية الخروج طواعية من قوقعة المحلية والانفتاح على كل العالم..

العولمة تتطلب الانسلاخ - ولو جزئيا - عن القيم الثقافية والمبادئ المحلية وذوبان الأمة في بوتقة الآخرين.. كما تتطلب تقديم مصلحة العالم على مصلحة الوطن والمواطن (حيث يفرض البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية مثلا على الدول الصغيرة التقيد بقرارات وقوانين قد لا تعمل لصالح مواطنيها)..

وإذا علمنا أن المنظمات العالمية ذاتها خاضعة لسيطرة الدول الكبرى يحق لنا التساؤل: لمصلحة من يتم خلق عالم تحكمه القوانين الدولية والمؤسسات العالمية والشركات العملاقة؟!

وإذا علمنا أن الثقافة الأمريكية والأفلام الهوليودية هي المؤثر الأكبر على ثقافة اليوم يحق لنا التساؤل: لمصلحة من يتم تقليص هوية الأمة وسلطة الدولة وخصوصية الوطن؟!

أما (العالمية) فعلى عكس العولمة تعني الانفتاح على العالم دون فقد الهوية وروابط الانتماء.. فالعالمية تعني تلاقح الأفكار وتبادل المعرفة والتعامل الراقي مع كل الشعوب.. ولا أبالغ إن قلت إن الاسلام أول من نادى بالعالمية من خلال آيات وأحاديث كثيرة موجهة لكافة الناس.. ففي حين خصص القرآن الحديث عن (قوم نوح) و(وقوم صالح) و(قوم هود) و(قوم لوط) لم يتحدث إطلاقا عن قوم محمد وتجاوز قبيلة قريش وعرب الجزيرة مخاطبا جميع الناس والشعوب..

بل لاحظ أنه تجاوز حتى «المسلمين» في معظم خطاباته مستعيضا عنها بكلمة «الناس» كونها تشمل كافة الأمم الأعراق والأديان مثل قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى»، «يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا»، «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة»..

وعلى نفس السياق توجد أحاديث كثيرة موجهة لكل «الناس» مثل قوله صلى الله عليه وسلم «وخالق الناس بخلق حسن»، و»يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».. حيث تجاوز فيها العرب والمسلمين ولم يقل مثلا (وخالق المسلمين بخلق حسن) أو (يا أيها العرب إن ربكم واحد وأباكم واحد)..!

.. المؤسف؛ أنه في الوقت الذي تكتسح فيه «العولمة» جميع الأمم والشعوب، نزع المسلمون عن دينهم صفة «العالمية» من خلال إصرارهم على حصره في وطن واحد، ومذهب واحد، وثقافة واحدة، وآراء وحيدة تنعت غيرها بالكفر والضلال..

<u>الفرق بين عالمية الإسلام والعولمة:</u>

إنّ أوجه الخلاف والتباين الجوهرية بين عالمية الإسلام والعولمة تكمن في كون العالمية من خصائص الدين السماوي المنزل من الله عز وجل، بينما العولمة هي ابتكار إنساني وصنعة بشرية مضادة لدين الله تعالى.

1- عالمية الإسلام ربانية في مصدرها، فهي من عند الله المتصف بالكمال المطلق، خالق الكون والإنسان، ومنبثقة عن فهي تصور اعتقادي موحى به من الله سبحانه ومحصورة في هذا المصدر فحسب.

ومادامت ربانية متكاملة شاملة، فإنّ الخير والبركة وكذا السعادة ووفرة الإنتاج من بركات الالتزام بها، وما دامت ربانية من عند الله عز وجل وتلبي أشواق الروح البشرية فإنّها مبرأة من النقص وخالية من العيوب، وبعيدة عن الظلم وبالتالي فإنّها وحدها تشبع الفطرة الإنسانية.

بينما العولمة بشرية في مصدرها؛ أي هي من تفكير العقل البشري وحده، مع اعتماده على شهوة التسلط والانفراد، وحب السيطرة على الآخرين، وهي أيضاً صدىً كبيراً للبيئة التي يعيش فيها الغرب الاستعماري، ولكونها بشرية قائمة على شهوة التسلط والانفراد فإنها لم تنفع البشرية، بقدر ما تفرض السيطرة السياسية الغربية على الأنظمة الحاكمة والشعوب، وتتحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية والقوى الصهيونية المتحالفة معها.

2- الاختلاف في طبيعة المنهج: فمنهج الإسلام مبني على الإيمان والتسليم، والمتابعة والانقياد لجملة أصوله وأركانه، والتطبيق العملي لتشريعاته وأحكامه. أما العولمة فقائمة الرفض من الشعوب، ولذا قابلت مؤتمراتها بالمظاهرات والمسيرات التي تعبر عن الرفض المطلق للعولمة، والعولمة تدعو إلى محاربة الدين الحق بما فيه قيم وأخلاق ونظم وتشريعات.

3- عالمية الإسلام تمتاز بالواقعية، فهي تصور يتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن، والأثر الواقعي الإيجابي. لا **كالعولمة التي تتعامل مع تصورات عقلية مجردة،** أو مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع، أو لا وجود لها في عالم الواقع. ثمّ إنّ التصميم الذي تضعه العقيدة للحياة البشرية يحمل طابع الواقعية، لأنه قابل للتحقيق الواقعي في الحياة الإنسانية، ولكنها في الوقت ذاته واقعية مثالية، أو مثالية واقعية، لأنها تهدف إلى أرفع مستوى وأكمل نموذج، تملك البشرية أن تصعد إليه. ولا يضرب العقل البشري في التيه كما في الفلسفة ليتمثلها على هواه، في سلسلة من القضايا المنطقية المجردة على طريقة الميتا فيزيقا التي لا تفيد شيئاً، لا علما ولا إيماناً

4- عالمية الإسلام تمتاز بالرحمة للعالمين: ويمكننا إدراك عمق الرحمة الإلهية للإنسان من خلال معرفتنا حالات الضعف البشرية، ومن خلال مطالعتنا للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تتحدث عن رحمة الله وعفوه وغفرانه. قال تبارك وتعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء:107، ويقول سبحانه:(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة: 128.

5- الوسطية من خصائص عالمية الإسلام: ومذهب الوسطية في الإسلام واضح في النص عليه في القرآن الكريم والحديث الشريف، وواضح في التطبيقات العملية للرسالة الإسلامية، فالقرآن الكريم ينص صراحة عليها:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) البقرة: من الآية143. أمّا التشريعات الإسلامية فإنّها تؤكد على إشباع الرغبات المادية والحاجات الروحية على حد سواء، فالإسلام يدعو الإنسان إلى عبادة الله والتقرب إليه، ويدعوه أيضا إلى الاستمتاع الحلال بملذات الحياة الدنيا، والإسلام يرفض البخل ويرفض الإسراف، ويحث على اتخاذ موقف وسط بينهما

ووسطية عالمية تعني أن الإسلام يرفض الطرق والأساليب التي تسير خلاف الطبيعة البشرية وما فطر عليه الناس، والتي قد تسرف في جانب وتقصر في جانب آخر، فتبخس مجموعة من المجتمع حقها، أو تقصر في جانب حياتي ضروري لجسم الإنسان وعقله وروحه، الوسطية في الإسلام تعني مواكبة الحياة الإنسانية مئة بالمائة، كما هي وكما خلقها الله، وكما ينبغي لها أن تكون.

بينما العولمة ظاهرة جديدة، أو هي إلا امتداد للنظام الرأسمالي الغربي،بل هي المرحلة الأخيرة من تطور النظام الرأسمالي العلماني المادي النفعي، وقد برزت في المنتصف الثاني من القرن العشرين نتيجة أحداث سياسية واقتصادية معينة منها: انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية عام 1961م،

ثمّ سقوط الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً عام 1991م، وما أعقبه من انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالتربع على عرش الصدارة في العالم المعاصر ، وانفرادها بقيادته السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومنها: بروز القوة الاقتصادية الفاعلة من قبل المجموعات المالية والصناعية

الحرة عبرة شركات ومؤسسات اقتصادية متعددة الجنسيات مدعومة بصورة قوية وملحوظة من دولها.

في النهاية ...ثمّ فرق بين عالمية الإسلام والعولمة، فالإسلام يقوم على العدل وإنصاف المظلوم، ويرفض الاعتداء، ويعترف بحق الأخر في الدين والرأي المخالف، أمّا العولمة فتقوم على الظلم، وتفتقد للعدل، وتهدف لصالح الاستكبار الغربي، وضد مصالح الشعوب الفقيرة الأخرى التي تفرض عليها العولمة عبر وسائل متعددة **مثل:**
الإعلام الموجه - المؤتمرات والاتفاقيات الدولية - الضغط الاقتصادي - الشركات العملاقة

ثانياً : العولمة مالها وما عليها

يستخدم مفهوم العولمة لوصف كل العمليات التي تكتسب بها العلاقات الاجتماعية نوعاً من عدم الفصل وتلاشي المسافة، حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد ـ قرية واحدة صغيرة ويعرف المفكر البريطاني رونالد روبرتسون العولمة بأنها «اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش» كما يعرفها مالكوم واترز مؤلف كتاب العولمة بأنها «كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو بدون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد».

وتتعدد تعريفات العولمة وتختلف باختلاف الرؤي ، وسنعرض في السطور القادمة ايجابيات وسلبيات العولمة

ا- ايجابيات العولمة

يرى الاقتصاديون ان العولمة تشجع التنافس الاقتصادي وان هذا التنافس يؤدي ليس فقط الى تحسين كفاءة المتفوقين في الانتاج وتطوير من هم بمستوى ادنى، بل انه يصب ايضا في مصلحة المواطن، بان يقدم له السلعة بأفضل نوعية وباقل ثمن، وانها ستؤدي الى تطوير الانتاج الصناعي والزراعي والصحي والخدمي في مجالات الحياة كافة، تفضي بالنتيجة الى ان تجعل الانسان يعيش حياة مريحة او مرفهة وصحة جيدة وعمرا اطول.

ويرى آخرون ان العولمة تؤدي الى تسريع تطبيقات جديدة في الثقافة الحديثة، وتعمل على ان تجعل العالم يعيش ولادة شيء جديد في كل دقيقة، يفضي بالضرورة الى خدمة الانسان، وربما كانت افضل ايجابية للعولمة انها تقضي على الشمولية والسلطوية التي تعاني منها الشعوب النامية، وتعمل على اشاعة الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الانسان، وانها تجعل العلم والمعرفة والثقافة والفن والادب في

متناول الجميع، وتمكن الناس من الحصول عليها بأيسر السبل واسهلها، وان العولمة توفر الفرصة لتحرير الانسانية بما ينتجه من تفاعل بين الثقافات، وتمنح كل انسان الخيار الذي يناسبه في استثمار قدراته وقابلياته في الميدان الذي يرغب فيه، وتقضي بذلك على هدر الطاقات البشرية التي تموت مع اصحابها من دون ان ينتفعوا بها.

وفي الجانب النفسي، ستعمل العولمة على تحويل الشعور، بالانتماء من حالة خاصة (تعصب لقبيلة، مجتمع، وطن....) الى حالة عامة، وهي الانسانية، الذي يفضي بالنتيجة الى خفض العداء بين المجتمعات، وتهدئة النزاعات نحو الحروب بين الدول، وتجعل من الارض مدينة انسانية تسمى المجتمع المدني العالمي.

وظاهرة العولمة لا تخلو من إيجابيات مهمه مع ملاحظة أن هذه الايجابيات قليله بالنسبة للسلبيات و لقد كان لهذه الوسائل من الايجابيات علي الامه العربية والاسلامية ما يلي :

1- اتاحة فرصة كبرى لنشر الاسلام
2- سهولة الحصول علي المعلومات المفيدة
3- الاطلاع علي مساوئ الثقافة الغربية و الاخطاء الكبرى فيها .
4- زيادة التواصل بين المسلمين .
5- الفرص الاقتصادية الجيدة .
6- العولمة هي حتمية التعامل اليقظ مع الواقع العالمي .
7- العولمة تقتضي السعي الي التميز و الاتقان .
8- العولمة تهدف الي قبول التغير .
9- تنمية التعاون الاقليمي بين الدول العربية و جيرانها عن طريق:
أ- ضمان التدفق الحر للعمالة ورأس المال .
ب- الاهتمام بتنظيم رحلات جماعيه للدول العربية لتهيئة الاجيال القائمة .

وبشكل عام ،،،،، فان التطور التكنولوجي الإيجابي. إن له إيجابيات كثيرة ، فالتكنولوجيا، مثلاً تحول الصحراء إلى واحة ، في الوقت الذي تستطيع فيه أن تحو ل الواحة إلى صحراء. فمن إيجابيات العولمة ما يلي:

1- إن العولمة تعمل على استقرار الحياة الإنسانية وازدهار كما تؤثر تأثيرا إيجابيا في حركة التاريخ ،و تعمل على خلق نوع من التعاون في جميع المجالات.
2- إيجاد نوع من الحوار المتبادل بين الأديان والثقافات والذي يؤدي بدوره إلى ترسيخ التعاون والتعايش بين الشعوب.
3- إلغاء المسافات بين الدول وتوحيد المقاييس والمواصفات للمنتجات في مختلف أصقاع العالم وتحسين جودتها.
4- إزالة التجزئة الاقتصادية وتوفير الديمقراطية الاجتماعية.
5- تتيح الفرص لمن لديه المهارة والقدرة للعمل والاستفادة من خبراته ، كما تساعد الدول الفقيرة للخروج على أزماتها.
6- فتح المجال أمام الأفراد لاختيار ما يلائمهم من الثقافات.

2- سلبيات العولمة

قد أثار الكتاب والمفكرون في ذكر السلبيات للعولمة المصطلح الآخر للعولمة وهو (الأمركة) وذلك استناداً إلى تصريحات وسياسات وخطط أمريكية في العالم. وقد أوضح يوماً أحد فلاسفة الغرب المعاصرين محذراً من العولمة قائلاً: "إذا كانت البراءة تظهر في عموميات العولمة فإن الشياطين تختبئ في تفاصيلها ". نذكر منها:

- حديث الرئيس جورج بوش 24 – 1 – 1990 حيث قال: إن القرن العشرين أمريكي ويجب أن يكون القرن الحادي والعشرين أمريكيا أيضاً.

- حديث بريجنيسكي 10 – 8 - 1990 حيث قال: ليست هناك سوى قوة عظمى واحدة في العالم، هي الولايات المتحدة الأمريكية وهذه القوة العظمى يجب أن تكون مطلقة وشاملة، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. فنحن القوة الوحيدة على جميع الأصعدة.

في كتابه (توازن الغد) يرى روبرت شتراوس: إن المهمة الأساسية لأمريكا تتمثل في توحيد الكرة الأرضية تحت قيادتها، واستمرار هيمنة الثقافة الغربية، وهذه المهمة لا بد من إنجازها بسرعة في مواجهة آسيا، وأي قوى أخرى لا تنتمي للحضارة الغربية. إن مهمة الشعب الأمريكي القضاء على الدول القومية. قال فرانسوا بايروا، وزير التربية والتعليم العالي الفرنسي: "إن هدف العولمة هو تدمير الهويات القومية والثقافة القومية للشعوب".

ومن أهم عيوب العولمة الواضحة ما يلي :

1- ازدواجية معاييرها ، فحقوق الإنسان والشرعية الدولية كثيرا ما تزدوج فيها المعايير ، وتتدخل الفلسفة البرجماتية في رسم هذه التوجهات وفي ضبط هذه القيم .

2- خطر العولمة يهدد كيان الحضارات الإنسانية ، ويدفع لنشوء حضارة جديدة تعتمد على طغيان رأس المال وجبروته ، وهذا الخطر سيهدد العالم العربي والعالم الإسلامي باعتبارهما منطقة استهلاكية ضعيفة.

3- من السلبيات الاجتماعية الناتجة عن العولمة ذوبان الطبقة الوسطي هذه الطبقة التي تقود مختلف التغيرات في العالم ، لأن الطبقة الغنية تحافظ على امتيازاتها فهي تريد الإبقاء على ما كان كما كانت حريصة على استمرار منافعها من الوضع القائم .

إن الطبقة الوسطى في نظام العولمة ، وفي ظل خصخصة المؤسسات الصناعية والتجارية ستنزل إلى الطبقات الفقيرة ، وسيزداد الفقر وستكون الدولة عرضة لإملاءات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وتتدخل هذه المؤسسات العالمية في السياسة الاقتصادية وحتى الاجتماعية . ويرى بعض الباحثين أن دبلوماسية هذه المؤسسات الدولية أصبحت بديلا لدبلوماسية البوارج التي عرفتها مطالع القرن التاسع عشر.

فالمعارضون للعولمة وغير المتحمسين لها يرون أنها تهدف إلى ما يلي:-

- الهيمنة على اقتصاديات العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال السعي لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاديات العالم.
- التحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم.
- إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب من خلال طمس الهوية والخصوصية الوطنية المحلية وإعادة صهرها وتشكيلها في أطار هوية عالمية. وطمس الثقافة والحضارة المحلية و الوطنية وإيجاد حالة اقتراب ما بين الانسان والفرد وتاريخه الوطني والموروثات الثقافية والحضارية التي انتجتها حضارة الإباء و الأجداد.
- سحق المصالح والمنافع الوطنية خاصة عندما تتعارض مع مصالح العولمة او مع تياراتها المتدفقة في كافة المجالات ونزوع العولمة الى الانفتاح .
- تدمير الهويات القومية والثقافة القومية للشعوب.
- زيادة الدول القوية غنى، بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً.
- القضاء على الهوية الثقافية وعلى تراث الأمم والشعوب الفكرية والحضارية.
- فرض السيطرة بأنواعها على الشعوب بقصد نهب ثرواتها واستغلالها...
- هيمنة الثقافة الاستهلاكية وتهميش الثقافات الاخرى ومحاولة طمس الهويات الثقافية للشعوب .
- ادعاء أفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الإسلامية .
- إهمال الأساسيات الدينية ولا سيما في مجال العقائد تحت وطأة النمط الثقافي الغربي الذي لا يقيم وزنا لهذه القضايا .
- تذويب الانتماء للدين والمعتقد .
- إهمال الآخرة تماما والتركيز على الحياة الدنيا فقط .
- الإكراه الثقافي والإرهاب الفكري الواقع على شعوب العالم .
- تغييب القيم الأسرية والاجتماعية التي رسخها الإسلام .
- الانحراف الأخلاقي .
- إفساد الأنماط السلوكية السائدة لدى الشعوب .
- سيادة لغة العولمة الثقافية وهي اللغة الإنجليزية على جميع اللغات ومنها اللغة العربية .

وتنحصر الاثار السلبية للعولمة في حياتنا المعاصرة في صعوبات عديدة أهمها :

1- الدول المتقدمة ستكون هي صانعة القرارات وموزع الأدوار على الدول النامية تحت رغبة الاقتصاديات المتقدمة التأثير اقتصاديا وتكنولوجيا وسياسيا.

2- المنافسة ستكون كونية لاتقف عند حد خفض الانماء وتحسين جودة السلعة بل تشمل الجودة البيئية وغيرها ستكون منافسة علي أساس القدرة على الأبداع والابتكار .

3- السيطرة على الأسواق المحلية من خلال قوة فوقية تمارس سيطرتها وتأثيرها ذو النفوذ القوى على الكيانات المحلية الضعيفة وتسحقها وتحولها الى مؤسسات تابعة لها .

4- فرض الوصاية الأجنبية باعتبار ان العولمة مصدرها أجنبي وباعتبارها أن هذا الأجنبي أكثر تقدما وقوة ونفوذا.

5- استباحة الخاص الوطني وتحويلة الى كيان رخو ضعيف غير متماسك وبصفة خاصة عندما يكون هذا الخاص لا يملك القدرة على التحور أو التطور وإعادة تشكيل ذاته بشكل جديد قابل للتكيف مع تيار العولمة .

6- القضـــاء علي الطبقة الوسطى وتحويلها الى طبقة فقيرة.

7- زيادة الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة في المجالات الاقتصادية والثقافية والتكنولوجيا.

8- إهمال البيئة والتضحية بها،

9- احتمال تفاقم الحروب الداخلية والاقليمية في دول الجنوب لعدم الاستقرار في النظام العالمي والانظمة الداخلية في تلك البلدان .

10- ازدياد نزعات العنف والتطرف وتنامي الجمعات ذات التوجهات النازية والفاشية في التجمعات الغربية.

وبعد هذا العرض ...يتبقى لنا السؤال الأهم

كيف نواجه الاثار السلبية للعولمة على الدول العربية ؟

- ❖ اجراء الاصلاحات السياسية والتعليمية وايجاد قاعده علميه تكنولوجيه محليه
- ❖ تعزيز التكافل الاقليمي بين الدول لتعزيز قوتها لمواجهات تحديات العولمة
- ❖ تعميق الروابط التجارية بين الدول لرفع قدرتها على المنافسة وتطوير منتجاتها الوطنية .
- ❖ تحسين الإنـتاج الزراعي و الصناعي العربـي و تحسين الخـدمات بمـا يكفل لــه المنـافســـــة في الأسواق العالمية.
- ❖ فتح المجال أمام القطاع الخاص و مبادراته في الاستثمار و الإنتاج و التصدير و إزالة العوائق التي تحول دون تفعيل دور القطاع الخاص.
- ❖ تحسين أداء و إنتاج المؤسسات الخاصة و العامة و التركيز على الصناعة و التقنية
- ❖ اعتماد البحث العلمي و الابتكار لتطوير الإنتاج و تبني معايير الجودة وبخاصة معايير الجودة الشاملة والمتميزة لتطوير المنتجات .
- ❖ إقامة المزيد من اتفاقيات التعاون الثقافي بين الدول العربية .
- ❖ ضرورة الاهتمام بالبعد الاقتصادي عند وضع برامج التنمية الثقافية ، إذ إن ارتفاع دخل الفرد سيزيد من حجم إنفاقه على التعليم و الصحة .
- ❖ تكثيف جهود المؤسسات الثقافية العربية لزيادة الوعي الثقافي و بخاصة في مناطق الريف العربي
- ❖ حماية اللغة العربية من خلال العديد من الوسائط من أهمها التركيز على التبادل التجاري العربي باللغة العربية ، و تدعيم وجودها في وسائل الإعلام السمعية والمرئية و المقروءة .
- ❖ تعزيز المقدرة التنافسية للمنتجات الوطنية ، من ناحيتي السعر و الجودة ، لتتمكن من استغلال إمكانات التصدير إلى الأسواق الإقليمية و العالمية التي يتيحها الانفتاح الاقتصادي العالمي ولا شك في أن مواجهة هذا التحدي الكبير لا تأتي إلا من خلال تضافر الجهود على المستويين العام و الخاص.

اسئلة المحاضرة :

السؤال الاول :

((خطر العولمة يهدد كيان الحضارات الإنسانية ، ويدفع لنشوء حضارة جديدة تعتمد على طغيان رأس المال وجبروته))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة في ضوء فهمك للآثار السلبية للعولمة

المحاضرة الرابعة

مفهوم الثقافة

مقدمة

لا يستطيع أي مجتمع أن يتقدم ويزدهر حتى يعرف المكوِّنات الثقافية التي تتحكَّم به وتُنَمِّط تفكيره وتحدِّد اهتماماته وتوجِّه نشاطه. إن الثقافة بمعناها الانثروبولوجي هي أسلوب أو طريقة الحياة التي يعيشها أي مجتمع بما تعنيه من تقاليد وعادات وأعراف وتاريخ وعقائد وقيم واهتمامات واتجاهات عقلية وعاطفية وتعاطف أو تنافر ومواقف من الماضي والحاضر ورؤى للمستقبل، إنها طريقة تفكير وأنماط سلوك ونُظُم ومؤسسات اجتماعية وسياسية وما يعيشه المجتمع من انفتاح أو انغلاق، فالثقافة بهذا المحتوى العلمي هي في الغالب لا تأتي قصداً من الأفراد وإنما يكتسبها الناس امتصاصاً من البيئة منذ ولادتهم، وإذا اكتسبوها بالقصد فإن قصْدهم يون محدَّداً بالبرمجة من الأهل

والمجتمع، فهم يتشرَّبون ثقافة أهلهم ومجتمعهم مثلما يتشرَّبون اللغة الأم ويحكمون على كل شيء وفق المعايير السائدة التي امتصوها امتصاصاً تلقائياً، وامتزجت بعقولهم ووجدانهم.. فهي تحركهم بمخزون اللاشعور ولكنهم يتوهمون أنهم يفعلون ذلك بمحض اختيارهم وفيض إرادتهم ويجهلون أن مصدر هذه الثقة هو البرمجة الراسخة فيظلون مأخوذين بما تبرمجوا عليه ولا يخطر على بالهم أن يرتابوا فيه أو يراجعوه، ومن هنا تمايزت أوضاع المجتمعات.

إن تنوع الثقافات هو الذي يحدِّد تنوع المجتمعات فإليه تعود الاختلافات الكثيرة والكبيرة في الأحوال والأوضاع وطُرق التفكير وأنماط السلوك، كما أن التنوع الثقافي هو الذي يحدِّد المستويات الحضارية للمجتمعات وهو السبب في هذا التفاوت الشاسع في درجات التخلف أو التقدم،

ومع كل هذا التعقيد الشديد لمفهوم الثقافة فإن الأكثرية يتوهمون بأن (الثقافة) مفهوم شديد الوضوح جَرْياً على ما اعتادوا عليه في الحس العام، وهو حسٌّ مبنيٌّ في الغالب على ثقافة المشافهة وليس مبنياً على المعرفة العلمية الممحَّصة فيبقون واثقين من صحة فهمهم ويظلون واهمين بأن المفهوم لا يحتاج إلى بحث ولا تعريف، ومن هنا يأتي الإعضال لأن الذي يستشكل يجتهد في البحث حتى يعرف الحقيقة فلا يطمئن حتى يزول الإشكال. أما الذي يعتقد أنه يعرف دلالات المفهوم وهو لا يعرفها فإنه يتوهم جَهْلَه علماً فيصرُّ عليه ويدافع عنه ويبقى مغتبطاً به مما يحول بينه وبين محاولة إدراك حقيقة مفهوم الثقافة الذي أتعب الفلاسفة والعلماء والباحثين بمحاولة استقصاء دلالته واستكناه محتواه ومحاولة إيجاد تعريف جامع مانع له ثم الحرص على تبسيطه ليكون مفهوماً لغير المتخصصين.

ويتضح أهمية دراسة موضوع الثقافة (Culture) بالنسبة لعالم الاجتماع ، إذا علمنا أننا لا يمكن أن نفهم اختلاف سلوك الجماعات التي تنتمي إلى مجتمعات مختلفة ، دون دراسة ثقافة هذه المجتمعات ، فالثقافة لها تأثير كبير في توجيه وضبط سلوك الأفراد داخل المجتمع بالإضافة إلى أنها تساعدهم على التكيف (Adaptation) مع البيئة ، أو تغير هذه البيئة بحيث تؤدي إلى إشباع احتياجاتهم المختلفة .

ومع هذه الأهمية التي يوليها علماء الاجتماع لدراسة موضوع الثقافة ، إلا أنه يجب مراعاة أن عالم الاجتماع لا يدرس الثقافة لذاتها ، إذ أنها تشكل الموضوع الرئيسي للدراسة في علم الأنثروبولوجيا الثقافية . ولكن عالم الاجتماع يهتم غالباً بدراسة هذا الموضوع نظراً لما تلقيه الثقافة من ضوء على سبيل المثال ، نجد أن عالم الاجتماع لا يدرس الفن من حيث هو فن ، ولا الاختراع من حيث هو كذلك . ولكنه يدرسها بهدف فهم العلاقات الاجتماعية . وسوف نحاول فيما يلي شرح تطورمفهوم الثقافة

اولاً : تعريف الثقافة

يعتبر مصطلح أو مفهوم الثقافة من أكثر المصطلحات شيوعا واستخداما ولم يحظ مفهوم من مفاهيم الانثروبولوجيا العامة بقدر ما حظي به مفهوم الثقافة من ثراء في تعريفاته منذ أوائل القرن التاسع عشر .

فلقد حدد **تايلور مفهوم الثقافة بقوله انه ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والاخلاق والعادات والعرف وكافة القدرات والاشياء الاخرى التي تؤدي من جانب الانسان باعتباره عضوا في المجتمع** ومن جهة اخرى فقد وجدت دراسات الثقافة في مجال الأنثروبولوجيا اهتماما كبيرا من جانب إثنين من علمائها في امريكا وهما الفريد كروبير وكلايد وكلاكهون اللذان قدما العديد من الدراسات والاعمال في مجال الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ونظرا إلى الثقافة على انها مفهوم تقوم

عليه الانثروبولوجيا في عمومها كما أشار إلى ان الاهتمام بمفهوم الثقافة يمكن أن يساعد على تشييد نظرية علمية متكاملة لدراسة الانسان والمجتمع

- وفي هذا الصدد يجدر بنا أن نشير أولاً ، إلى أن هناك نوع من الجدل أو المناقشات التي لا تنتهي حول اصطلاح (Culture) يترجم باللغة العربية إلى (ثقافة) أو (حضارة) . كما أن الناس قد يستخدمون مفهوم الثقافة في حياتهم اليومية للإشارة إلى المعرفة أو قراءة الصحف والمجلات ، أو ممارسة بعض الفنون كالموسيقى ، أو الذهاب إلى الأوبرا أو المتاحف أو المسارح ، وغير ذلك . ومن ثم فإن هذا المفهوم الشائع لدى عامة الناس يقسم المجتمع إلى صفوة (Elite) مثقفة ، وجمهور أقل ثقافة .

ـ ويستخدم علماء الاجتماع مفهوم الثقافة بطريقة مختلفة تماماً . فكل أعضاء المجتمع الذين يتحدثون بلغته قد اكتسبوا الثقافة ، سواء أكانوا أو لم يكونوا يقرأون الصحف والمجلات ، أو يمارسون بعض الفنون ، أو يذهبون إلى المتاحف أو المساح وغير ذلك فاكتساب الثقافة ـ من وجهة نظر علماء الاجتماع ـ يتطلب مجرد مشاركة الأفراد في حياة المجتمع ، وليس بالضرورة المشاركة في حياة الصفوة المثقفة .

هذا وقد وضع علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا عدة تعاريف لمفهوم الثقافة ، كل بطريقته الخاصة . ونستعرض فيما يلي بعض هذه التعريفات على سبيل الإلمام بوجهات النظر المختلفة .

تطور مفهوم الثقافة

(أ) مفهوم الثقافة (Culture) و مفهوم (ثقافة ما) (A Culture)

ـ يرى " مافيس بيسانز " (Mavis H . Biesang) و " جون بيسانز " (John Biesanz) أن مفهوم الثقافة (Culture) يختلف عن مفهوم (ثقافة ما) (A Culture) . فالمفهوم الأول يشير إلى الجزء الذي نتعلمه من السلوك الإنساني . أما المفهوم الثاني ، فيشير إلى طرق الحياة المميزة لهذا المجتمع .

ـ ويؤكد ما سبق ، ما ذهب إليه " ماكيفر " و " بيدج " ، من حيث أن مفهوم (الثقافة) يشير إلى مجمل التراث الاجتماعي للبشرية ، بينما يشير مفهوم (ثقافة ما) إلى التراث الاجتماعي لمجتمع معين .

(ب) الأفكار وأنماط السلوك دون الأشياء المادية

ـ وقد يقتصر مفهوم الثقافة على الأفكار وأنماط السلوك دون الأشياء المادية مثل الأدوات والآلات . ويتبين ذلك من تعريف " فيليبس " (Bernard Philips) للثقافة على أنها " نسق من المعايير والقيم " . وكذلك تعريف " هوبل " (E . A . Hoebel) للثقافة بأنها " ذلك الكل المتكامل من أنماط السلوك المتعلمة التي تميز أفراد المجتمع والتي لا تنتج عن العوامل الوراثية البيولوجية " .

(ج) الجوانب المادية وغير المادية في الحياة البشرية

ـ وفي أوائل القرن العشرين ، اتسع مفهوم الثقافة ، بحيث أصبح يدل على كل الجوانب المادية وغير المادية في الحياة البشرية . ويتضح ذلك من التعريف الكلاسيكي البسيط الذي وضعه " تيلور " (E. B. Tylor) في مطلع كتابه عن (الثقافة البدائية) حيث يقول : " إن الثقافة أو الحضارة ـ بمعناها الواسع ـ هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع " . وقد يستخدم بعض علماء الاجتماع هذا المفهوم الواسع الذي ذهب إليه " تيلور " للإشارة إلى خصائص السكان . وفي هذا الصدد ، يذكر " رونالد فيدريكو " (Ronald C. Federico) أن مفهوم الثقافة قد يستخدم للإشارة إلى بعض الخصائص السكانية مثل : القيم ، والمعتقدات ، والسلوك ، والأدوات ، التي يحافظ عليها المجتمع ، وتنتقل من جيل إلى جيل . إذاً مفهوم الثقافة يتضمن كل جوانب الحياة الإنسانية ـ من مادية وغير مادية ـ التي يتعلمها ويشارك فيها أعضاء المجتمع .

(د) الثقافة تجريد معنوي للسلوك

ـ وبالإضافة إلى الاتجاهات السابقة في تفسير مفهوم الثقافة ، فإننا نجد أن هناك اتجاه يرى أن الثقافة تجريد معنوي للسلوك . بمعنى أن الثقافة مجموعة من الأفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو

بجماعة معينة . ويوضح " ردفيلد " (R. Redfield) هذا الاتجاه بقوله : " إن الثقافة تبدو في طريقة العمل والصناعة ولكنها لا تتكون من العمل والصناعة " .

(هـ) الجانب الرمزي

- وأخيراً نجد أن بعض التعريفات التي ظهرت لمفهوم الثقافة ، تهتم بالجانب الرمزي وبتعلم الرموز . ويؤكد ذلك ما ذهب إليه " تيرنر " (Jonathan H. Tuner) من حيث أن الثقافة يمكن النظر إليها على أنها " نسق من الرموز التي لها دلالة أو معنى ، والتي يكونها ويحافظ عليها أفراد المجتمع من أجل تنظيم شئون حياتهم " ويرى " تيرنر " أن هذا التعريف السابق ، يعد من أفضل التعاريف التي وضعت للثقافة . ومن التعريفات التي تهتم أيضاً بهذا الجانب الرمزي ، تعريف " هوايت " (L. White) للثقافة على أنها " الأشياء والأفعال ذات المعاني والتي تدرس في إطار غير شخصي " .

خلاصة القول

ويتضح مما سبق ، أن الاتجاهات المختلفة في تعريف الثقافة قد تأخذ اتجاهاً واقعياً يرى أن الثقافة هي كل ما يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع إنساني معين أو بجماعة معينة من البشر . وقد تأخذ الثقافة اتجاهاً تجريدياً يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة . وقد يظهر اتجاه ثالث يهتم بالجانب الرمزي . وهذا الاتجاه يعارض الاتجاه التجريدي ويأخذ بالاتجاه الواقعي على النحو الذي ذهب إليه " هوايت " . كما يتضح من التعاريف السالفة الذكر ، أن بعضها يهتم بتوضيح مكونات الثقافة من جوانب مادية أو غير مادية ، ويأخذ بعضها اتجاهاً بنائياً يهتم بالصيغ العامة وأنماط الفعل و السلوك . بالإضافة إلى أن هناك بعض التعاريف التي تهتم بالجانب الرمزي .

وعلى الرغم من هذه الاختلافات التي تبدو بين العلماء حول تعريفهم للثقافة . إلا أنه مما لاشك فيه أن الثقافة ظاهرة عامة توجد في جميع المجتمعات الإنسانية وتؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد داخل هذه المجتمعات . مما يوضح أهمية دراسة موضوع الثقافة بالنسبة لعالم الاجتماع .

وعند دراستنا لثقافة المجتمعات المختلفة ، يجب أن نتجنب الميل نحو الحكم على هذه الثقافات أو تقييمها بمصطلحات تتفق مع قيمنا ومعايرنا ، ولا تتفق مع هذه الثقافات . مما قد يؤدي إلى رؤيتنا لهذه الثقافات على أن لها مكانة أدنى من ثقافتنا . بل يجب على عالم الاجتماع أن يكون موضوعياً وأن يأخذ وضعاً يتسم بالنسبية الثقافية ، وأن يحاول فهم الثقافات الأخرى في ضوء مصطلحاتها الخاصة .

وفي هذا الصدد ، يذكر " مالينوفسكي " (B. Malinofski) أنه عند دراسة القيم والمعايير الأساسية للثقافة ، وتحديد أثرها على السلوك الاجتماعي . فإن كلاً من علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا يقومون بدراسة ثقافة المجتمعات المختلفة باستخدام الملاحظة والمشاركة في حياة سكان هذه المجتمعات . مع تجنب الوقوع في هذه الظاهرة التي يطلق عليها التعصب السلالي (Ethnocentrism) ، وهي الميل نحو تقييم الثقافات الأخرى بمصطلحاتنا التي قد لا تتفق مع هذه الثقافات . وتتطلب الموضوعية العلمية درجة كبيرة من النسبية الثقافية (Cultural Relativity) التي تتجنب تقييم الثقافات وفقاً لمصطلحاتنا الخاصة .

ـ ولاشك أن عالم الاجتماع يهتم بدراسة القيم والمعايير السائدة في المجتمعات المختلفة ، كما أنه يهتم بالتقييم الموضوعي لهذه القيم والمعايير ، نظراً لما تلقيه من ضوء على العلاقات الاجتماعية ويمكن من فهم سلوك الجماعات التي تنتمي إلى المجتمعات المختلفة .

والثقافة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع من ناحية وبالنسبة للأفراد من ناحية أخرى فهي:

1- تكسب أفراد المجتمع شعورا الوحدة وتهيئ لهم سبل العيش والعمل دون إعاقة واضطراب

2-تمد الأفراد بمجموعة من الأنماط السلوكية فيما يتعلق بإشباع حاجاتهم البيولوجية من مأكل ومشرب وملبس ليحافظوا علي بقائهم واستمرارهم .

3-تمدهم بمجموعة القوانين والأنظمة التي تتيح لهم سبل التعاون والتكيف مع المواقف الحياتية وتيسر سبل التفاعل الاجتماعي بدون أن يحدث هناك نوع من الصراع أو الاضطراب

4-تجعل الفرد يقدر الدور التربوي الذي قامت وتقوم به ثقافته حق التقدير خاصة إذا اختبر ثقافة أخرى غير ثقافته من عادات وتقاليد تطغى علي وجوده .

5-تقدم للفرد مجموعة من المشكلات التي أوجدت لها الحلول المناسبة وبذلك توفر عليه الجهد والوقت بالبحث عن حلول تلك المشكلات . كذلك تقدم له مثيرات ثقافية عادية عليه أن يستجيب لها بالطرق العادية الموجودة في ثقافته كمجموعة المواقف الحياتية المتوقعة والتي حللتها الثقافة وفسرتها والتي يستجيب لها الفرد عن طريق الثواب والعقاب فإذا ما انتقل الفرد إلي ثقافة أجنبية يقابل فيها مثل تلك المثيرات فسيجد استجابات مختلفة مما يحدث عنده القلق والاضطراب .

6-تقدم للفرد تفسيرات تقليدية مألوفة بالنسبة لثقافته يستطيع أن يحدد شكل سلوكه علي ضوئها فهي توفر له المعاني والمعايير التي بها يميزون بين الأشياء والأحداث صحيحة كانت أم خاطئة عادية أو شاذة وهي أيضا تنمي لدى الفرد شعورا بالانتماء أو الولاء فتربطه بمجتمعه رابطه الشعور الواحد .

إذن فالعلاقة بين الفرد والثقافة علاقة عضوية دينامية والثقافة من صنع الأفراد أنفسهم فهي توجد في عقول الأفراد وتظهر صريحة في سلوكهم خلال قيامهم بنشاطهم في المجالات المختلفة وقد تتفاوت في درجة وضوحها كما أن الثقافة ليست قوة في حد ذاتها تعمل مستقلة عن وجود الأفراد فهي من صنع أفراد المجتمع وهي لا تدفع الإنسان إلي أن يكون سويا أو غير سوى بل يعتمد في ذلك علي درجة وعى كل فرد بالمؤثرات الثقافية ونوع استجابته لها وجمود الثقافة وحيويتها يتحددان بمدى فاعلية أفرادها ونوع الوعي المتوافر لهم .

ثانياً : أنواع الثقافات

الثقافة الواقعية - الثقافة المثالية - الثقافات الفرعية - الثقافات المضادة

يرجع " لان روبرتسون " (Lan Robertson) التوترات التي تحدث في الثقافة إلى عاملين رئيسيين : أحدهما التعارض الموجود بين الثقافة الواقعية (Real Culture) وبين الثقافة المثالية (Ideal Culture) أما العامل الثاني للتوترات التي تحدث في الثقافة ، فيرجع إلى وجود هذه الثقافات التي يطلق عليها الثقافات الفرعية (Subcultures) والثقافات المضادة (Countercultures) .

ـ ونجد أن تقسيم الثقافة إلى قسمين : **واقعية ومثالية** ، يرجع أساساً إلى عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي " كلايد كلوكهون " (Clyde Kluckhohn) الذي ميز بين نمطين من أنماط التصرف الثقافي ، أحدهما مثالي يعبر عن ما يفعله أو يقوله أفراد المجتمع في موقف معين إذا ما تمسكوا تماماً بالقيم التي توجه تصرفاتهم ، بينما يعبر النمط الثاني ـ وهو الواقعي ـ عن التصرفات الفعلية للأفراد في المواقف المختلفة .

ويذكر " روبرتسون " أن أحد المصادر العامة للتوترات التي تحدث في الثقافة ، هو التعارض الذي يوجد أحياناً بين الثقافة المثالية ، كما يعبر عنها في القيم والمعايير التي يدعى الناس الإيمان بها ، وبين الثقافة الواقعية التي يعبر عنها الناس في تصرفاتهم وسلوكهم الواقعي . وعلى سبيل المثال ، نجد أن الناس في الولايات المتحدة يؤمنون بالمساواة ، ومع ذلك نجد هناك في الواقع نوع من التمييز العنصري بين السكان . وأحياناً ما يزداد التعارض بشكل كبير بين الثقافة المثالية والواقعية ، مما يؤدي إلى زيادة التوترات في الثقافة ، ويتطلب الأمر إجراء بعض التغييرات للتقريب بين الثقافتين : المثالية والواقعية ، والعمل على وجود درجة من الانسجام بينهما ، مما يؤدي إلى تحقيق التكامل الثقافي .

ـ أما المصدر الثاني للتوترات التي تحدث في الثقافة ، فيتمثل في وجود الجماعات التي لا تشارك مشاركة كاملة في الثقافة السائدة داخل المجتمع . وهذه الجماعات تعد شائعة في المجتمعات الصناعية الحديثة التي تتميز بتباين ثقافتها إلى درجة كبيرة . ففي هذه المجتمعات توجد اختلافات ثقافية متعددة بين سكانها الذين يتباينون من حيث الدين والمهنة . بالإضافة إلى تباين هؤلاء السكان من حيث مناطقهم الأصلية ومجتمعاتهم المحلية التي ينتمون إليها .

- والثقافات الفرعية ، هي جماعات تشارك في الثقافة الكلية للمجتمع ، إلا أن لها قيمها الخاصة المتميزة ، ومعاييرها ، وأسلوبها في الحياة . أي أن لهذه الجماعات مجموعة من الطرق المميزة للتفكير والشعور والعمل التي يكونها أعضاء هذه الجماعات بمعزل عن المجتمع الكبير . وقد تؤدي زيادة حدة الاختلافات بين الثقافات الفرعية المختلفة الموجودة في المجتمع إلى حدوث ظاهرة (صراع القيم) (Value Conflict) ، وعدم الاتفاق حول الأهداف والمثاليات والسياسات .

ـ أما الثقافات المضادة ، فهي ثقافات فرعية ولكنها تتميز بوجود التعارض الشديد بينها وبين الثقافة السائدة في المجتمع . ويشترك أعضاء هذه الثقافات المضادة في مجموعة من الطرق المميزة للتفكير والشعور والعمل تميز سلوكهم كأعضاء في هذه الجماعات ، وتعد مختلفة ومتضاربة إلى حد بعيد مع نظيرها في المجتمع الكبير .

ونجد أن المجتمعات الحديثة المعقدة ، تتضمن مجموعات من الثقافات الفرعية . وقد يشارك الفرد ـ أثناء حياته في هذه المجتمعات ـ في أكثر من ثقافة فرعية واحدة ، لكل منها خصائص مختلفة . ومن ثم قد يصعب على أغلب الأفراد فهم أقرانهم الذين ينتمون إلى نفس الثقافة الكلية . ومن أجل هذا كان علم الاجتماع ضرورة ثقافية واجتماعية ملحة في العصر الحديث ، فهو وحده الذي يعطى صورة متكاملة لحياة المجتمع ، ويعطي أهمية بالغة للمسائل المتعلقة بالاختلافات والمتشابهات التي تظهر بين أقسام المجتمع . ونرى أنه من الواجب على علما الاجتماع أن يأخذوا ـ أثناء دراستهم للثقافات الفرعية ـ وضع يتسم بالنسبية الثقافية ، وأن يحاولوا فهم سلوك وتصرفات أعضاء هذه الثقافات الفرعية في ضوء المعايير والقيم السائدة في هذه الثقافات نفسها ، ومن ثم يمكن أن يكون لهؤلاء العلماء دور هام في إحداث التكامل الثقافي داخل المجتمع .

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((نال موضوع الثقافة اهتماما كبيراً من علماء الاجتماع))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل

المحاضرة الخامسة

اتجاهات الثقافة

اولاً : اتجاهات الثقافة

ذكر ديفيد بيدني david bidneyأستاذ الأنثروبولوجيا الفلسفية الاختلافات القائمة حول مفهوم الثقافة بين الباحثين حيث يرى ان هناك اتجاهيين أساسيين يشيران الى جوانب الاختلاف فيما يتعلق بمفهوم الثقافة وخصائصها لدى كل فريق من العلماء ، وهذان الاتجاهان هما :

أولا: الاتجاه الواقعي

حيث يرى أنصار هذا الاتجاه أن مجال الثقافة هو السلوك البشري الاجتماعي وأنهم عادة ما يميلون الى تحديد مفهوم الثقافة في ضوء الألفاظ والعادات وقواعد العرف والتقاليد المكتسبة وكافة النظم المجتمعية وهم بذلك إنما يشيرون الى أن الثقافة لا يمكن فصلها عن الحياة الواقعية للناس في المجتمع وإنما تعتبر انماطا أساسية محددة من السلوك الاجتماعي ويرى بيدني أن هذا الاتجاه يظهر بشكل خاص في كتابات كل من إدوارد بيرنت تايلور ، وفرانز بواس ومالينوفسكي وإدوارد سابير وليند وغيرهم من الذين يؤكدون على اهمية التراث الثقافي المستقل والمنفصل عن الأفراد

ثانيا: الاتجاه المثالي

وهو كما يرى بيدني على عكس الاتجاه الواقعي حيث يرى أنصار هذا الاتجاه ضرورة تعريف الثقافة في ضوء المثل المجردة وحجتهم في ذلك بأن الثقافة ماهي الا مجموع تصورات وأفكار وقيم واتجاهات في أذهان الافراد . أي ان الثقافة طبقا لذلك ترتبط بالسلوك المجرد لا الواقعي ، بل وصل الأمر ببعض الباحثين الى عدم الاعتراف بالمكونات المادية على أنها عناصر ثقافية وان الثقافة في نظرهم ماهي الا أراء وأفكار وطرق ذهنية مرتبطة بالاداء التكنولوجي وطرق الاختراع ويمكن القول : انهم ينظرون الى الثقافة كشيء مجرد والتي تتمثل لدى البعض منهم في فكرة "مافوق العضوي" . ومن ابرز الأنثروبولوجيين الذين يمثلون هذا الاتجاه المثالي، رالف لينتون ، كلايد كلاكهون ، الفريد كرويبر ، بيترم سوروكن ، وأوزفالد شبنجلر وليزلى هوايت وغيرهم.

ومهما اختلفت وجهات النظر في الطرق المنهجية التي يجب إتباعها للدراسة وتحليل الثقافة من جانب الباحثين إلا انه يجب النظر الى الثقافة على انها تعني كافة الأساليب الاجتماعية المقننة لإدراك العالم الخارجي والتفكير في ظواهره كما تعمل الثقافة على تحديد الاهداف وفهم العلاقات بين الناس ، في الوقت الذي توجد في التصرفات والأفعال الانسانية ، ولهذا تشمل الثقافة على كافة القواعد المحددة للسلوك ولكن على الرغم مما يوجد من تشابه بين بني البشر في التكوين الجسمي والاستعدادات السيكولوجية والعقلية الى حد ما إلا ان هناك تنوعا وتباينا في الأنماط والممارسات السلوكية فيما بينهم ويرجع هذا الاختلاف الى ان الانسان يتعلم القسم الأكبر من سلوكه فالطفل الذي يولد في مجتمع ما يجد أن اكثر المشكلات التي تواجهه في نجرى حياته قد سبق ان واجهها أولئك الذين عاشوا قبلة ووجدوا الحلول لها وماعليه إلا ان يتعلم هذه الحلول

وأن هذا التراكم للأفكار والعادات ونقلها من جيل الى آخر يعتبر خاصية إنسانية مميزة ، أدت الى ظهور مفهوم جديد على المستوى الأكاديمي بين الباحثين عرف باسم "تعددية الثقافات المحلية" بوصفها كيانات كلية وظيفية منظمة وقد برز هذا الاتجاه بين علماء الانثروبولوجيا الثقافية في أمريكا كرد فعل لإعادة النظر حول المسلمات الفكرية التي سادت في القرن التاسع عشر والتي كانت تعالج قضايا الجنس البشري على أساس الوحدة النفسية والوحدة في التاريخ المشترك الى جانب الوحدة في القافة ، وعلى هذا المستوى المحلي يرى ديفيد باراش "أستاذ العلوم السلوكية بجامعة واشنطن" أن هناك الكثير من الأنشطة والممارسات التي يقوم بها الأفراد وتعبر في نفس الوقت عن عنصر لاكتساب أو انتقال ثقافي ومنها على سبيل المثال فكرة التابو المتصل بتحريم المخالطة الجنسية في فترة النفاس أو الولادة .

وقد يشير التفسير البيوثقافي من جانب الأفراد في مثل هذه الحالات بأن المخالطة الجنسية خلال تلك الفترة توصف بأنها من الأعمال غير الأخلاقية ومن ناحية اخرى يعتقد الأفراد أن ما الرجولة يسبب أمراضا ويؤدي إلى تلف لبن الأم بالنسبة للطفل الرضيع ، وربما كان ذلك هو نفس المحتوى أو المضمون الذي يشير إلية الفكرة المتعلقة بتكيف وتقبل السلوك الثقافي في إطار التحريم . وقد أدت فكرة اكتساب الثقافة عند الفريد كروبير ، وخصوصا عند مناقشة لفكرة ما فوق العضوي إلى حد القول بأن الجوانب الإنسانية الأساسية التي تدخل في تكوين الثقافة إنما تكمن في كون الإنسان كائنا اجتماعيا وثقافيا وليس هو بمثابة تطور بيولوجي عضوي فقط وعلة هذا فإنه عندما يشير إلى

ما فوق العضوى إنما يقصد بأن الطريقة الاجتماعية للحياة والتي تتناقلها الأجيال ليست من خلال تطور العناصر العضوية فقط ولكن من خلال المكتسبة من التفاعل.

أو بمعنى أخر أنها تحدث من خلال المتصل الثقافي الاجتماعي لهؤلاء الأفراد .

اذا إن ما فعله كروبير إنا كان بمثابة تكملة للدور الذي قام به أستاذة فرانز بواس وخصوصا في مؤلفة (عقل الإنسان البدائي) عام 1911م والذي يرمي فيه إلى أن كل ما يفعله الإنسان من أنماط سلوكية تتصل بالجوانب المادية أو المعنوية للحياة إنما يرجع إلى دور الموجهات العقل لدى الانسان ، كما تأثر روث بذلك ، وجاءت تحمل نفس الاتجاه الذي حمله أستاذة فرانز بواس وخصوصا في مؤلفها الشهير (أنماط الثقافة) وفسرت من خلاله مفهوم الثقافة على أساس فكرة النمط ، وترى أن الثقافة العامة بمثابة القوس الكبير الذي تأخذ منه كل ثقافة بعض المظاهر التي تكون في حاجة إليها ، وأن السمات الثقافية الموجودة في المجتمع لم توجد بطريقة المصادفة وإنما وجدت من خلال حركة الاتصال الثقافي المستمر بين الظواهر

وقد وضعت أنماطاً لثقافة :-

1-نمط الديونيزى : وهو الاتجاه الذي يهدف إلى تحطيم القيود أو الحدود المفروضة عن طريق الإحساس للوصول إلى الفهم العام والإفراط فيه.

2-نمط الأبولوني : وهو يهدف إلى عدم الثقة أو عدم الاعتقاد الكامل بالإفراط في الفهم والميل إلى المحافظة على الاتجاه الوسط مع الاتجاه إلى التقليد الجمعي ومقاومة المذهب الفردي كلما أمكن ذلك .

وقد جاءت الصياغة النمطية للثقافة من جانب بنديكت من خلال عرضها للثقافات الثلاث التي تعاملت معها وهي ثقافة قبائل الذوني في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة ، وقد تعرضت دنيكت إلى كثير من الانتقادات فيما يختص بعرضها للأصول الأولى لمختلف الثقافات ولكنه على الرغم من ذلك فإن بدينكت لم تدعى أنها وضعت قوالب ثابته لصب الثقافات فيها أو تصوير المجتمعات بصفة عامة

ضمن تلك الإطارات الأبولنية أو الديونيزية ولكن على الرغم من النظرة النقدية حول نظرية انماط الثقافة إلا أنها لم تقلل من شأنها كإطار مرجعي لفهم السلوك المكتسب .

وثمة اتجاه اخر تمثل في اسهامات ليزلى هوايت في دراسة الثقافة وتأكيده على ضرورة استخدام المنهج التاريخي للتعرف على تاريخ الثقافة والماضي الزمني والثقافي المتصل بتلك المجتمعات وتتميز نظرته بانفرادها عن الاتجاه الذي ساد كتابات العلماء وتلاميذهم فيما يتعلق بضرورة الاشارة الى تاريخ الثقافه حيث نظرية هوايت تشير الى احياء حركة الاتجاه التطوري الذي كان سائد في القرن التاسع عشر فاذا كانت النظرية التطورية قد اهتمت بالنمط الثقافي العام الذي يميز الجنس البشري ككل أي الاهتمام بالحضارة في مفهومها الاثنوجرافي الواسع الا ان النظرة الجديدة لوظيفة الثقافه قد لا تختلف من حيث المبدأ عن تلك النظرية التي عرض لها ادوارد تايلور

وان كانت هناك اختلاف فيما يتعلق باساليب وطرق البرهنه على تلك النظرية في ثوبها الجديد وعرف هوايت الثقافة بانها لايمكن ان تكون غير الاشياء المحسوسة والتى تتمثل في الادوات والاشياء والافعال والافكار التى صنعها الانسان وانتقلت عبر الزمان والمكان ويتركز دور الباحث الانثروبولوجى في ضرورة ملاحظة تلك الامور الحسية ملاحظة موضوعية للوصول الى تحديد طبيعتها من خلال الاستعانة بالقوانين والنظريات التى تفسرها ويرى هوايت ضرورة الاستعانة بالنظرية الرمزية والتي موادها ان الانسان وحده هو الذي يستطيع اضفاء الرموز على الاشياء ليعطيها معانى متميزه ويظهر ذلك بوضوح في اللغة الكلامية والتي هي اهم مايميزبه الانسان عن غيره من الكائنات ويرى ضرورة دراسة تلك العناصر السلوكية المرتبطة بالإنسان من خلال منظورين اساسيين :

هما :المضمون الشخصي ثم المضمون الظاهري فاذا كانت دراسة الاشياء او المعاني او الاتجاهات من ناحية اتصالها بالشخص ذاته فان ذلك يكون دراسة في مجال علم النفس الذي يهتم بدراسة السلوك الانساني في ضوء ارتباطه بالفرد تمثل نظرية المضمون الظاهري والتي ترتبط بدراسة الافعال والاتجاهات والافكار وعلاقتها بعضها ببعض بعيدا عن المجال الشخصي وهذا ما جعل هوايت يشير الى ضرورة التفرقة بين الثقافه في عمومتها وبين ثقافه الانساق الفرعية التي ترتبط بالجماعات الاقليمية او الجماعات المتمايزة ويرى ان الثقافة الخاصة بالجنس البشري تمثل في عمومها نسقا واحد متكاملا وليس ادل على ذلك من تطورها خلال المراحل التاريخية والزمنية في اطار متسق من التكامل ولكنة طبقا لبعض الاغراض او الحدود المتميزة كما ان الانساق الثقافية الفرعية ليست مغلقة على ذاتها وانما هي تتفاعل وتتأثر بالثقافات المحيطة من خلال الناحية التي

يمكن ان نطلق عليها التنظيم النسقي للثقافة الشاملة وهذه الناحية قد اهتمت بها النظرية الاثنولوجية في ضوء نظرية التطور الثقافي والتي بمقتضاها يرى العلماء ان كل ثقافة نسقية فرعية تعمل على تنظيم نفسها بحيث تتطور لتلائم الثقافات المحيطة او التي تتأثر بها وتتفاعل معها وبهذا فان مرحلة تتطور الانساق الثقافية انما ترتبط اساسا بتاريخ الشعوب.

ولكن رغم اهمية النسق الثقافي المميز للجنس البشرى في عمومة الا ان هناك انساقا ثقافية فرعية تميزت بها بعض المجتمعات الاقليمية او الجماعات القبلية وان التكامل الثقافي فيما بين تلك الانساق الثقافية الفرعية انما يتوقف على جانبين اساسيين حيث **يشير الجانب الاول** الى ضرورة ان تمر تلك الانساق الثقافية الفرعية بمراحل تطورية داخلية

اما الجانب الثاني فيشير الى ضرورة الاحتكاك والتأثير بثقافات الانساق الاخرى وصولا الى توحيد فكرة الثقافة العامة او النسق الثقافي الكلي وان الثقافة تنمو وترقى في ضوء ازدياد كمية الطاقة والكفاية في استخدامها يرى العلماء ان كل ثقافه نسقيه فرعيه تعمل على تنظيم نفسها بحيث تتطور لتلائم الثقافات المحيطة او التي تتأثر بها وتتفاعل معها.

ويرى هوليت ايضا انه من خلال تلك المراحل التطوريه فقد استمدت مدرسه الانتشار الثقافي اهميتها في دراسه تتابع الثقافات ويمكن القول طبقا للنزعه التطوريه انه ليست هناك مجتمعات قبليه سواء في افريقيا او غيرها مرت بمراحل الاكتساب والانتشار الثقافي دون ان تمر بمراحل تطوريه زمنيه ودليل هوايت في ذلك انه ليس لاي نسق ثقافي القدره على القيام بعمليه التنظيم الثقافي مالم تمر تلك المجتمعات المحليه بمراحل تطور من داخلها ، وبهذا فان مرحله تطور الانساق الثقافية انما ترتبط اساسا بتاريخ الشعوب.

رغم اهميه النسق الثقافي المميز للجنس البشري الا ان هناك انساقا ثقافيه فرعيه وان التكامل الثقافي فيما بين تلك الانساق الفرعية يتوقف على جانبين اساسيين

1-ضروره ان تمر تلك الانساق الثقافية الفرعية بمراحل تطوريه داخليه
2-ضروره الاحتكاك والتأثر بثقافات الانساق الاخرى .

:من الجدير بالذكر ان هناك محاولات تسعى لتقريب وجهات النظر فيما يتعلق بتفسير العلاقه بين الثقافه والمجتمع حيث يرى مارك ان النظريه الخاصه بدور الثقافه في الحياه الانسانيه انما تستند في تحليلها للسلوك الى **جوانب اساسيه هي:**

- التنظيم الثقافي.
- التطابق او الامتثال الثقافي.
- التوزيع الثقافي.

وينظر البعض الى انه يمكن استخدام مفهومي الثقافه والمجتمع بصوره تقبل المبادله بين الاصطلاحيين.

وقد حاول لينتون ان يوضح ان الفرد لايستطيع ان يكون وينمي معرفته الثقافيه من خلال جماعته الاوليه فقط بل لابد له من الاتصال بعدد من المجتمعات التي تمنحه عضويه جديده داخل ثقافتها.

توصلت ماري دوجلاس من خلال دراستها للقبائل المقيمة بالغابات حيث وجدت ان الضوابط المرتبطة بالعلاقات الجنسية تكون مفروضة على الاشخاص من قبل المجتمع كما وجدت ان هناك ممارسات تقوم بها هذه القبائل تحتوي في نفس الوقت على معاني رمزيه وذلك لاعتقاد الافراد ان لها روابط دينيه منها غسل الايدي قبل الاكل وازاله الدنس من البدن.

و إذا كانت مثل هذه السلوكيات التي تتم في الحياة اليومية تعبر عن شيء فانما تهدف الى وجود بناء من القواعد الرمزية التي تنظم العلاقات و الانماط السلوكية في تلك المجتمعات البسيطة و بهذا تحاول دوجلاس من خلال خبرتها الطويلة في البحث و الكتابة الأنثروبولوجية أن تحدد المعاني الرمزية المتضمنة في فهمها لثقافة أجنبية تقوم بدراستها '

و ترى دوجلاس أن المدخل المعرفي لفهم المضمون و المحتوى الاجتماعي و الثقافي هو أفضل الطرق المنهجية التي يعتمد عليها العمل الحقلي في مجال الأنثروبولوجيا بصفة عامة . و يأتي عن طريق متابعة الحالة اليومية بكافة احداثها الظاهرة و كوامنها العقلانية

و هكذا يتضح من خلال ما قدمه كل من إدموند و دوجلاس من أن المجتمع وما به من قيم و اتجاهات و أنماط ثقافية تعمل على تهذيب كافة الممارسات السلوكية بين الافراد حتى ما يرتبط منها بالنواحي الغريزية او الفطرية و ربما كانت أدق و أعمق تلك المحاولات الخاصة

بالكشف عن الجوانب الرمزية للسلوك ، هي تلك الدراسة التي قام بها كلود ليفي لتفسير الاستعارات الثقافية الكامنة في موضوعات البناء الاجتماعي من خلال دراسته الحقلية لتحليل و تفسير بورورو و هي احدى الاساطير السائدة بين سكان امريكا الجنوبية

ثانياً : العمليات الثقافية

إن النسق الثقافي ليس في حالة استقرار وثبات دائم ، بل أنه يتغير باستمرار ، سواء كان هذا التغير يشمل الجوانب الإدراكية من الثقافة (المعرفة) ، أو يشمل الجوانب المعيارية منها (القواعد والقيم) ، أو يشمل الجوانب المادية (الأشياء) . وقد يشمل التغير جانب أو أكثر من هذه الجوانب ، أو يشملها جميعاً في وقت واحد . وفي جميع الأحوال ، نلاحظ أن التغير الثقافي (Cultural change) ظاهرة عالمية تحدث في جميع المجتمعات الإنسانية . ونجد أن هناك بعض العمليات الثقافية (Cultural processes) التي تؤدي إلى حدوث هذا التغير الثقافي . و العمليات الثقافية هي الطرق التي عن طريقها تنتقل الثقافة وتنتشر وتتغير . ومن أهم هذه العمليات الثقافية : التجديد ، والانتشار ، والمزج الثقافي ، والتمثل الثقافي ، والتخلف الثقافي أو الهوة الثقافية .

وسوف نتناول كل من هذه العمليات الثقافية فيما يلي : -

1- التجديد

ويعني التجديد (Innovation) ، الاختراع أو الاكتشافات ، ويعتبر كل منها أحد مصادر التغير الثقافي في المجتمع .

ـ غير المادية كابتكار ويمكن أن نعرف الاختراع بأنه طريقة مستحدثة في مزج أنواع من العناصر بعضها مع بعض . وبناء على ذلك ، فإن الاختراعات تشمل جميع جوانب الثقافة ، سواء الجوانب المادية (كاختراع الصاروخ) ، أو الجوانب أفكار جديدة في علم الاجتماع أو علم النفس .

ـ كما يعد الاكتشاف أحد مظاهر التجديد ، التي تؤدي إلى حدوث عملية التغير الثقافي . فاكتشاف مواد جديدة داخل المجتمع ، قد يؤدي إلى حدوث سلسلة واسعة من التغيرات ، وخاصة في المجتمعات التقليدية البسيطة .

ـ وفي هذا الصدد ، نجد أن عالم الاجتماع الفرنسي " جبرييل تارد " (G . Tarde) قد أدرك أهمية الاختراع والمحاكاة بالنسبة للتغير الثقافي . فقد ذهب إلى أن الاختراع والمحاكاة يمثلان النمط المميز للعملية الاجتماعية . ويتضمن الاختراع غالباً عنصراً يعمل على التغير ، عادة ما يكون نوعاً من التأليف المبتكر بين عناصر قائمة بالفعل ، أو تكاملاً مثمراً لمجموعة من الابتكارات (أو المحاكاة اختراعات قديمة) . ويتأثر معدل الاختراعات في المجتمع بمقدار الصعوبة التي تواجه تحقيق التكامل بين الأفكار ، وكذلك بمستوى الاستعدادات العقلية الفطرية عند أعضائه . وأخيراً بالظروف الاجتماعية التي قد تكون مشجعة أو غير مشجعة للاختراعات . ومن ثم فإن المحاكاة هي العملية التي تجعل الاختراع مقبولاً من الناحية الاجتماعية .

2- الانتشار الثقافي

- يشير مفهوم الانتشار (Diffusion) إلى عملية انتقال السمات الثقافية من ثقافة إلى أخرى . وحيث أن الاختراعات أو الاكتشافات تعتبر عمليات نادرة الحدوث . لذلك نجد أن الانتشار يعد من أهم عوامل التغير الثقافي . فغالبية التغيرات الثقافية ، تحدث نتيجة لانتشار أو استعارة السمات الثقافية من المجتمعات المختلفة . وهذا ما أكده عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي " رالف لينتون " (Ralph Linton) الذي ذهب إلى أن حوالي (90%) من العناصر الثقافية التي تكون أية ثقافة ، إنما يتم اكتسابها عن طريق الانتشار والاستعارة من المجتمعات المختلفة . ويلعب التقليد والمحاكاة دوراً هاماً بالنسبة لعمليات التغير الثقافي . وقد أدرك ذلك المفكر العربي ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر . فقد ذهب إلى أن التقليد يسير بسهولة ويسر إذا كان المقلد منظوراً إليه بالسمو والرفعة ، إذ أن الشخص المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب .

كما أدرك المفكر الفرنسي " تارد " أهمية التقليد والمحاكاة بالنسبة للتغير الثقافي وتحقيق التوازن في البيئة الاجتماعية . كما أن الاختراعات لا تصبح مقبولة من الناحية الاجتماعية إلا عن طريق عملية المحاكاة .

ولانتشار الثقافة يجب توافر عدة عناصر ، منها وجود بعض السمات أو العناصر الثقافية التي تستحق أن تنشر ، ومنها ضرورة وجود طريقة أو وسيلة تستعمل كأداة للنشر ، كالإذاعة والكتب والأشخاص الذين ينتقلون بين الثقافات المختلفة .

ـ هذا من ناحية العناصر الواجب توافرها لانتشار الثقافة . أما من ناحية كيفية انتشار الثقافة ، فنجد أن هذا الانتشار قد يكون طواعية أو يكون عن طريق الجبر والإلزام . ففي الحالة الأولى يستعير المجتمع العناصر الثقافية من مجتمع آخر ، وفي الحالة الثانية تفرض سلطة أمرة نوعاً من الثقافة على جماعة مغلوبة على أمرها .

ـ ونلاحظ أن النمط الثقافي الذي يلقي قبولاً من الجماعة ، يدخل في تكوين ثقافتها الكلية . وقد يصبح بعد ذلك عرضة للانتشار إلى مجتمعات أخرى ، عن طريق الاحتكاك الثقافي والتفاعل بين الثقافات المختلفة . وكلما زادت فترة التفاعل والاحتكاك الثقافي بين المجتمعات المختلفة ، زادت الاستعارات الثقافية ، وبالتالي ترتفع معدلات التغير الثقافي .

3- المزج الثقافي

- يشير المزج الثقافي (Acculturation) إلى العملية التي تحدث بين عدد من المجتمعات ذات الثقافات المختلفة إذا ما اتصلت هذه المجتمعات بعضها ببعض فتتأثر كل ثقافة بالأخرى عن طريق إعارة واستعارة السمات الثقافية المختلفة ، ولكن دون أن تفقد أي من تلك الثقافات مقوماتها ومظهرها الأصلي . ودون أن تندمج إحداها في الأخرى اندماجاً كاملاً .

ـ ويمكن أن تتم عملية المزج الثقافي بين أجناس مختلفة بدون حدوث اختلاط بيولوجي بين هذه الأجناس . ومن أمثلة ذلك ، ما حدث لزنوج أمريكا الشمالية حيث لا نستطيع أن ندعي أنهم قد اندمجوا اندماجاً تاماً مع السكان البيض ، ولكنهم لاشك قد تأثروا بهم من الناحية الثقافية على نطاق واسع ، كما أنهم قد أضافوا عناصر ثقافية جديدة إلى الثقافة الأمريكية ، مثل تلك التي تأثرت بها اللغة نتيجة إضافة كلمات جديدة إليها ، أو تلك التي تأثرت بها الفنون .

ـ ومن أمثلة عمليات المزج الثقافي أيضاً . ما حدث في جنوب أفريقيا بين العناصر الأوربية والعناصر الملونة . ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للقبائل الهندية التي تعيش في الولايات المتحدة . فنجد أن هذه القبائل قد استعارت العناصر الثقافية المختلفة من بعضها البعض ، كما أنها استعارت كثيراً من السمات الثقافية من السكان البيض في الولايات المتحدة ، وذلك دون اندماج الثقافة الهندية في الثقافة الأمريكية .

ـ وتذكر " مارجريت ميد " (Margaret Mead) أن كل من عمليتي الانتشار والمزج الثقافي ، تعتبر من أهم مصادر التغير في كثير من المواقف . وعندما تحدث عملية المزج الثقافي بين ثقافتين ، فإنها تؤدي إلى تنمية كل منهما . مما يشير إلى أن عملية المزج الثقافي ، هي عملية ذات اتجاهين ، بمعنى أن هناك تأثيرات متبادلة تحث بين الثقافات التي تحتك ببعضها ، وإن كانت الثقافة الأقوى تكون أشد تأثيراً في الثقافة الأضعف .

4- التمثيل الثقافي

- يشير التمثل أو التمثيل الثقافي (Assimilation) إلى العملية التي عن طريقها تحاول الجماعات ذات أنماط السلوك المختلفة ، أن تندمج مع بعضها البعض في وحدة اجتماعية وثقافية مشتركة . أي أن هذه العملية تؤدي إلى اندماج أو انصهار ثقافتين أو أكثر في وحدة ثقافية متجانسة . واصطلاح التمثيل الثقافي يشبه نفس الاصطلاح المستخدم في علم وظائف الأعضاء ، وهو التمثيل الغذائي ، وذلك لأن الجسم يقوم بعملية التمثيل على الموارد الغذائية التي تدخله ، وهي عناصر غريبة عنه ، فيحولها إلى موارد تختلف كلية في تركيبها وتكوينها عن المواد الغذائية نفسها لأنها أصبحت جزءاً من الجسم نفسه . وكذلك الحال فيما يتعلق بالتمثيل الثقافي ، حيث تندمج الثقافات وتنصهر في بوتقة واحدة ويخرج نمط ثقافي جديد يختلف كلية عن العناصر الثقافية التي اشتركت في تكوينه قبل بدء عملية التمثيل الثقافي .

- ومن أشهر عمليات التمثيل الثقافي ، تلك العملية التي حدثت للمهاجرين من مختلف دول العالم ، واستيطانهم للولايات المتحدة الأمريكية . فقد ترتب على ذلك تفاعل واندماج عدة ثقافات أوروبية قديمة ، وظهور ثقافة واحدة مشتركة لهؤلاء المهاجرين ، وهي الثقافة الأمريكية العامة .

- ونجد أن هناك عدة عوامل تؤثر في عملية التمثيل الثقافي ، مثل العزلة ، ومدى التشابه الثقافي ، ومدى الاختلاف أو التقارب في الصفات الجسمية ، والاختلاط البيولوجي ، ومدى الشعور بالبعد الاجتماعي ، ومدى تكافؤ الفرص في النشاط الاقتصادي .

5- التخلف الثقافي

- ورد مفهوم التخلف الثقافي أو الهوة الثقافية (Cultural lag) في كتاب " التغير الاجتماعي " للعالم الأمريكي " أوجبرن " (W . Ogburn) الذي نشره عام 1922 م . فقد عرض " أوجبرن " في كتابه السالف الذكر ، لنظريته في التخلف الثقافي ، والتي تعد دليلاً قاطعاً على مدى إحساس علماء الغرب بالآثار التي يمكن أن تترتب على كل تغير تكنولوجي في الحياة الاجتماعية . ويرى " أوجبرن " في نظريته السابقة ، أن الثقافة تضم عنصرين أساسيين هما : العنصر المادي ، العنصر اللامادي أو المعنوي . ويقصد بالعنصر المادي ، التكنولوجيا والأدوات والوسائل المادية المختلفة ، على حين يتضمن العنصر المعنوي ، العادات والتقاليد وأسباب التفكير في المجتمع . ويرى " أوجبرن " أن التغيرات التي تطرأ على جزء من الثقافة اللامادية ـ الذي يطلق عليه اسم الثقافة التكيفية (Adaptive culture) ـ لا يتزامن تماماً مع التغيرات التي تطرأ على الثقافة المادية . فيشهد المجتمع نتيجة لذلك نوعاً من التخلف الثقافي الذي يرجع إلى تفاوت معدلات التغير الثقافي في الناحيتين : المادية واللامادية .

- ويتضح من خلال نظرية " أوجبرن " السالفة الذكر ، أن التخلف الثقافي أو الهوة الثقافية ، تشير إلى الموقف الذي يتغير فيه أحد عناصر أو مكونات الثقافة ، بشكل أسرع مما يتغير به غيرها من العناصر أو المكونات الأخرى للثقافة . وفي غالبية الحالات نجد أن الثقافة غير المادية تتخلف بالنسبة للثقافة المادية ، مما يؤدي إلى حدوث مشكلات اجتماعية متعددة داخل المجتمع .

ـ وقد أثارت نظرية التخلف الثقافي ـ كما لاحظ بعض الدارسين ـ عدد من التساؤلات مثل : هل دائماً ما تتغير الثقافة المادية بشكل أسرع من الثقافة غير المادية ؟ وفي هذا الصدد ، نجد أن أحد علماء الاجتماع المعاصرين ، وهو " سوروكين " (P . Sorokin) لا يؤيد ما ذهب إليه " أوجبرن " من حيث أن العناصر المادية تتغير بسرعة أكبر من تغير العناصر غير المادية .

- إذ يذكر " سوروكين " أن في معظم المجتمعات ، وفي غالبية فترات التاريخ ، نجد أن الثقافة غير المادية قد تغيرت بشكل أسرع من تغير الثقافة المادية . ونلاحظ أن غالبية التغيرات التي حدثت في الثقافة المادية في المجتمعات الحديثة ، هي هذه التغيرات التي ترتبط بالثورة الصناعية . وحتى في هذه الحالة ، فإن التغيرات في المعرفة والعلم ـ التي تعتبر عادة جزءاً من الثقافة غير المادية ـ هي التي أدت إلى هذه التغيرات التي حدثت في الثقافة المادية . وقد أكد " فيبر " (M . Weber) ـ من خلال بعض الدراسات التي قام بها ـ صحة ما ذهب إليه " سوروكين " . إذ تبتن له أن الأفكار والقيم قد تؤدي إلى ظهور ونمو الثقافة المادية .

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((يرى ديفيد بيدني ان هناك اتجاهيين أساسيين يشيران الى جوانب الاختلاف القائمة حول مفهوم الثقافة بين الباحثين))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل في ضوء دراستك لاتجاهات الثقافة

المحاضرة السادسة

الأقليات السوسيوثقافية

اولاً : الأقليات السوسيوثقافيّة

تعد دراسة الأقليات من الموضوعات الهامة لكثير من المجالات و التخصصات الاجتماعية و الجغرافية و السياسية و القانونية و السكانية و غيرها ...

ينطوي تاريخ كل أقلية على عناصر و سمات متميزة و خاصة بها تتضمن خصائص و مبادئ مشتركة في الجوانب الطبيعية والاجتماعية

الأمر الذي يؤدي إلى وجود شعب متعدد الاجناس فيخلق بالضرورة وضع أقلية بداخله وهنا قد يقوم تعدد الاجناس على عقائد قومية و ثقافية و دينية و عرقية و غيرها.

يرى البعض أن السمات والخصائص العامة للشعوب المتعددة الاجناس في ضوء ما تفرضه حدود الاغلبية الاكثر سلطانا والاعظم شأنا ونفوذا.

ولكن هذا الأمر ليس دائما صحيحا وينطوي على الكثير من الأحكام القيميّة لأنه ليس بالضرورة أن تكون الأغلبيّة هي صاحبة الشأن والنفوذ.

ويتضح ذلك مثلا في حالة قيام سلطة عنصرية تنتمي إلى أقلية ذات نفوذ في المجتمع كما حدث تاريخيا في حالة قيام الحكم العنصري في دولة جنوب افريقيا للأقلية البيضاء على حساب الأغلبية السوداء.

ان موضوع الأقلية يعتبر سلاحا ذا حدين فقد يصاحب وجود الاقلية في مجتمع ما حالة من الاستقرار الاجتماعي والتوازن البنائي.

وقد تكون مصدرا للقلاقل والتنافس والصراع وعدم التوازن الاجتماعي.

لقد لعبت كلّ من الهجرة والانتقال الثقافي وتطوّر وسائل الانتقال المرتبطة بالتطور التكنولوجي والغارات والغزوات العسكرية ، ادوارا هامة في ايجاد عدم تطابق لعناصر الإقليم الواحد والثقافة الواحدة وربما أيضا السلطة السياسية كما يقول لويس ورث.

توضح الانثروبولوجيا إن المجتمعات المتجانسة يكون لها القليل من الجماعات التي قد تحمل سمة التحامل وانه اذا وجد صراع أو عداء ما فانهما يتركزان على أفراد لا على فئات من الشعب .

من المسلم به اليوم إن تطور المجتمع القومي (الموحد) قد أصبح حقيقة رئيسية بعد أن كان حلما يراود بعض المجتمعات والشعوب.

جاء ذلك نتيجة لبسط السيادة على جماعات كانت منفصلة ومستقلة إقليميا أو اجتماعيا أو ثقافيا في الماضي، فضلا عن الرغبة العامة المشتركة في ايجاد امة متجانسة تسعى الى تقليل فجوة التعددية الثقافية، وهو الامر الذي ادى الى قيام علاقات بين الاغلبية والأقلية.

قد صور مارفن هاريس و تشارلس واجلي ذلك التطور السابق الذكر والمخالف لأسس المجتمعات القبلية بقولهما:

«ان عالم الفرد (الشخص) في المجتمعات البدائية يفتقر الى حد كبير لوجود البدائل، فالكلّ يتكلّم لغة واحدة ويمارس عادات واحدة وينتمي الى نفس الجذور الفيزيقية والسلاليّة والعرقيّة للمجتمع. ولهذا لا يحتوي التنظيم الاجتماعي البدائي على أي تعاون داخل وحدة اجتماعية واحدة ،والذين لا يرتبطون مع غيرهم بروابط القرابة او الزواج . "

إن الاهتمام بأوضاع وأحوال الأقليات في مقابل احوال الأغلبية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الاجتماعي والحضاري للشعوب.

يؤكد مكاريني ان تلك الأقليات لازمها شعور بالانفصال عن القوميات التي دخلت معها وان هذا الشعور لم يكن من السهل ازالته لقرون عديدة .

أما هارولد لاسكي يرى انه مع نمو القوميات الأوربية فقد تطورت مشاكل جديدة للأقليات كنتيجة لانتشار موجات الاستعمار والغزو المتزايد الأمر الذي ادى الى تفاعل عناصر متباينة كالثقافة والدين والعرق في اطار سياسي عام وهنا واجهت الجماعات المسيطرة على مشاكل جديدة تتعلق بالسياسات الواجب اتباعها نحو جماعات الأقلية الذي ادى الى الإبادة والأستبعاد والتسامح والامتصاص في ازمنة وامكنة مختلفة.

ان اصل مفهوم «الأقليات القومية» قد ابتدأ من أوروبا حيث ظهور الجماعات القومية التي وجدت في مناطق معينة نتيجة لاستقرارها الطويل بها وان كانت تلك الجماعات قد فقدت سيادتها على تلك الأقاليم لصالح شعوب اكثر عددا تنتمي الى قوميات اخرى مختلفة .

وفي أحيان اخرى لم تعد جماعات الأقليات هذه تحتمل مناطقها الأصلية بل انتشرت بداخل انحاء الدولة او دولة ما مجاورة واصبحت تلك الجماعات فيما بعد ضمن رعاية هذه الدولة وتكون الحالة الأكثر شيوعا هي اقامة تلك الأقليات داخل حدود الدولة وتقوم بسن القوانين الخاصة بتنظيم الوجود السياسي للأقليات .

مع ظهور المشكلات المتعلقة بوضعية الأقليات جاءت الحاجة لتكوين «ظاهرة حماية حقوق الأقليات» وظهر ذلك منذ نشأة (الدولية الاشتراكيّة الأولى عام 1869م) حيث نادت الاشتراكية النمساوية بفكرة حماية حقوق الأقليات.

وقد استفاد من ذلك اليهود اذ كانوا يمثلون الأقليات الأكثر اضطهادا في دول أوروبا المسيحيّة قبل الحرب العالمية الأولى ثم لازمت تلك الحركة اليهودية الحركة الصهيونية ثم جاء بعد ذلك مبدأ «سياسة حق تقرير المصير» وتمثل مجتمعات اوربا الشرقية المثل الصارخ في وجود الأقليات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

ولهذا فإن حق تقرير المصير لشعب ما، يستتبعه بالضرورة إعطاء الأقلية التي تعيش في وسط هذا الشعب ضمانات خاصة لحمايتها، وتدريجيا يحصل الشخص في نطاق الأقلية على نفس الحقوق والحريات على قدم المساواة مع أفراد الأغلبية.

تمثل مجتمعات اوربا الشرقية المثل الصارخ في وجود الأقليات الاجتماعية والثقافية والسياسية ويرجع ذلك الى كثرة ما تعرضت له تلك المناطق من غزوات في الماضي جاءت اليها من آسيا

فضلا عن اختلاطها بأجناس متباينة بعكس مجتمعات أوروبا الغربية التي حقّقت تجانسا واندماجا لشعوبها الصغيرة في ظل قومية كبيرة واحدة .

نرى في جميع المجتمعات أقليات اجتماعية ، فما هي الاقلية الاجتماعية و ما هي أشكالها و أهميتها و عوامل تشكلها

و علاقتها مع الاكثرية الاجتماعية ؟

و ما هي المميزات التي تتحلى بها الفئتين ؟

لكن من الصعب وضع مفهوم ثابت لأنواع الجماعات التي تدخل تحت مفهوم الاقلية ، و ذلك لعدة أسباب :

لكن من الصعب وضع مفهوم ثابت لأنواع الجماعات التي تدخل تحت مفهوم الاقلية ، و ذلك لعدة أسباب :

-تختلف النظرة للأقليّة بسبب اختلاف المفاهيم التي تحكم وجودها ، تبعا للجماعة التي تعيش تحت سيطرتها .

-تختلف النظرة ايضا تبعا لنوع العلاقة بينها و بين الاغلبية ، و يحكم هذه العلاقات الاختلاف في الثقافة و اللغة و العرق و غيرها .

-ان تحليل التفاعل القائم بين الأقلية و الاغلبية يتطلب الاهتمام بطبيعة البناء الاجتماعي و الاثار الناتجة عنه.

ثانياً : الاقليات الاجتماعيّة

و مع اختلاف الأسس التي تقوم عليها الاقليات فإن تعريف الاقلية يختلف تبعا لذلك ، و نستعرض أهم التعريفات المتناولة لمفهوم الاقلية :

أولا : «الاقلية هي بمثابة طائفة من الناس تجمع بينهم رابطة اللغة او الدين ، و يعيشون مع طائفة أخرى أعظم شأنا و أكثر عددا»

ثانيا : «الأقلية هنا هي مجتمع فرعي خاص يتصف بأنماط محددة في الاساليب المعيشية ، هي التي تميزه عن بقية المجتمع الكلي ، مما يجعله يعيش في صورة منعزلة و منفصلة أحيانا»

ثالثا : التعريف الاجتماعي للأقلية: «أنها جماعة اجتماعية فرعية توجد داخل جماعة أكبر يعيشان معا و يرتبطان معا بروابط مألوفة مثل الانتماء القومي و العرقي او الاثني ، و التوحد في الجنسية السياسية التي يتبعونها ، مع الاختلاف أحيانا إما في النواحي الدينية او بعض الصلات و الروابط الثقافية المتميزة»

رابعا : التعريف السيكلوجي للأقلية «الأقلية هي جماعة تشعر بأنها ذات وضعية اجتماعيّة ادنى ، و انها لا تتمتع بأي امتيازات أو حوافز مجتمعية ، و على هذا الأساس تشير الأغلبية إلى أنها الجماعة العليا ذات الوضع الاجتماعي الأرقى مرتبة من الجماعة او الجماعات الاخرى»

خامسا : المفهوم السياسي للأقلية «إن الأقلية عبارة عن فئة من الناس يشتركون معا في الاحساس بالاجحاف و عدم الحصول على حقوقهم السياسية ، و بالتالي الاحساس بعدم المساواة فيما بينهم وبين الآخرين»

يستند تعريف اللجنة الفرعية لالغاء و حماية الاقليات للامم المتحدة على أساس ان الاقليات جماعة تابعة داخل شعب معين

تتمتع هذه الاقليات بتقاليد وخصائص إثنية أو دينية أو لغوية تختلف بشكل واضح عن بقية السكان .

ترغب تلك الأقليات في دوام الحفاظ على تلك السمات والخصائص المميزة لها.

كان ذلك نابعا من مفهوم الأقلية الذي ساد المجتمعات الأوروبية في أثناء عصر النهضة الصناعيّة، حيث تشير الأقلية هناك إلى أنها جماعة من الناس يعيشون على أرض احتلوها منذ زمن.

يعرف العالم (لويس ورث)

«الأقلية بأنها جماعة من الناس تنفصل عن بقية أفراد المجتمع بصورة ما نتيجة احساسها بعدم المساواة مع الآخرين في بعض السمات العضوية أو الثقافية وتشعر تلك الجماعة بأنها عرضة للتفرقة من قبل الجماعة المسيطرة ذات الوضع الاجتماعي الأعلى والامتيازات الأكبر» .

الصفات المشتركة لدى الأقليات الاجتماعية عند (واجلي) و(هاريس):

1 - أن الأقليات الاجتماعية بمثابة أجزاء وعناصر خاضعة داخل مجتمع الدولة سياسيا.

2- تتمتع الأقليات بخصائص وسمات عضويّة وثقافيّة خاصة، وتعتقد أن الجماعات المسيطرة في المجتمع الذي تعيش بداخله الأقليات تحاول دائما التقليل من اهميتهاوقيمتها .

3- تحرص الأقليات الاجتماعية على تنمية المشاعر العضوية لدى أفرادها في حالة عدم تميزها بخصائص ثقافية أو بيولوجية واقعية وذلك عن طريق تنمية مشاعر الانتماء الوراثي لتلك الصفات عند الأجيال الجديدة .

4- غالبا ما تكون السمات والخصائص التي تتميز بها جماعات الأقليات مبعث شعور بالنقص والعجز لديها . الأمر الذي تكون ردودفعل عكسية، فتعمل جماعة الاقلية على تنمية شعورهم «بالذات» فيما بينهم

5 - يحرص أعضاء الأقليات الاجتماعية طواعية الى إقامة نظام من الزواج الداخلي فيما بينهم ، باعتبار ان ذلك هو الرافد الأساسي لبعث حياة الأقليّة من جديد.

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((تختلف الأسس التي تقوم عليها الاقليات))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل في ضوء دراستك لموضوع الأقليات الاجتماعية

المحاضرة السابعة

الثقافة العربية وتحديات العولمة

مقدمة

يسعى علماء الفكر الاجتماعي – على مستوييه النظري والتطبيقي- جاهدين إلى تخليص أعمالهم من الايدلوجيا.

وذلك على أساس أن فكرتهم الأساسية تجاه النقد الاجتماعي/ المعرفي تنصّ على محوريين رئيسيين هما: مجموع القضايا والأفكار والمفهومات التي يصوغها ويبلورهما علماء الفكر الاجتماعي، وما لها من أثر على كيفية التي تظهر بها اعمالهم الفكرية من ناحية أخرى

ان مفهوم الايديولوجيا كان ذا فائدة لدى علماء الفكر الاجتماعي، الى حدّ انه أصبح مستحيلا عليهم الاستغناء عنه تقريبا. إن التصورات السائدة في نتاج فكرهم الاجتماعي حول الايديولوجيا لا تخلو أبدا من عنصر الاتهام والإدانة،

يقول أحد المفكرين الاجتماعيين « أنا صاحب فلسفة اجتماعية على أساس أن منطلقات الفكر الاجتماعي وتطبيقاته السوسيولوجية والانثروبولوجية انما يقدمان وصفا علميا لقضايا المجتمع يستند الى الموضوعية والحياد،

بينما يشير المفكر الاجتماعي الى الايديولوجي «بانه صاحب ايديولوجيا فحسب» وهو الوصف الذي قد يجعل صاحبه غارقا في المعتقدات والافكار التي تبتعد به عن مسلك الحياد والموضوعية

تشير الايديلوجيا في نظر بعض المفكرين الاجتماعيين الى انها مجموعة من المعتقدات أو الأفكار المترابطة او الاتجاهات الفكرية التي تتميز بها جماعة معينة او مجتمع محلّي بعينة وتتسم تلك الأفكار والمعتقدات بانها تتيح مجالا مشتركا من القيم والتوجهات المعرفية من أجل وحدة الوسائل وتحقيق الأهداف.

لكي تتواءم وتتطابق عمليات الفكر الاجتماعي النقدي مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في اللحظات الآنية لإعادة بناء المجتمع العربي المعاصر. لا بدّ من الاشارة الى بعض المحكات أو الأبعاد الضرورية لإظهار ذلك التواؤم أو تلك العلاقات ومنها:

أوّلا: ضرورة الفهم المتكامل لطبيعة الظروف والمقومات والأبعاد المجتمعيّة الشاملة والتي أسهمت جميعا في صياغة بنية المجتمع العربي من جهة، وفي تشكيل وبلورة وظهور الاتجاهات الفكرية الاجتماعية النقدية من جهة ثانية

ثانيا: الفكر الاجتماعي ونقد الذات العربية، وهي المحاولات الفكرية الرامية الى تشخيص البناء الاجتماعي العربي السائد. يشير مفهوم الفكر الاجتماعي الى انه نشاط فكري يساير حركة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع

اولاً : بنية الثقافة العربية

إن الثقافة العربية – رغم تواجدها التاريخي منذ زمن بعيد- قد نشأت منذ مجيء الاسلام، وانتشرت بانتشاره فشملت رقعة واسعة من العالم وضمت اليها شعوبا وأجناسا مختلفة الثقافات والمعتقدات فانصهرت ثقافاتها في بوتقة الاسلام وثقافته.

ولكن منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن يسعى الاستعمار جاهدا وبشتى الطرق رغم تغير مفاهيمه ومقاصده من فترة تاريخية إلى اخرى إلى تغيير بعض مفاهيم الثقافة العربية الاسلامية مثل إحلال بعض القوانين الوضعية بقصد وحدتها العالمية او الكونية، وتسلّل عادات وتقاليد وقيم غريبة عن الثقافة العربية الاسلامية بما يؤدي الى التأثير في ذاتية الثقافة العربية وتهديد وحدتها.

تشير وجهة النظر الانثربولوجية ودراسات الأجناس والشعوب الى أن أصالة المكوّن الثقافي ووحدته وذاتيته وتميزه، إنما يكمن في لبنات تشكيله الأولى

ومما لا شك فيه أن الثقافة العربية الاسلامية وأصالتها إنما تعود الى الدين الاسلامي الذي شكل عناصر ونسيج الثقافة في الأخلاق، والقيم، والتنشئة، والقوانين، والعادات كعادات الطعام والشراب والملبس والزواج والأفراح وغيرها من ألوان وفنون وأنشطة الحياة مختلفة.

إن أي تغيير أو تحريف في الثقافة العربية الاسلامية، يرمي الى تهميشها، او إثبات عجز وظائفها إنما هو بالدليل القاطع عمل مغرض. لا يقصد من روائه سوى العمل على تفكيك وحدة الثقافة لتمثلها في ثقافة «الآخر».

ثانياً : الثقافة العربية والعولمة :تصورات وقضايا

إن الثقافات الانسانية درجت منذ بداية التاريخ- وكأنها تسير بدافع الفطرة أي السعي بشتى الطرق والوسائل -نحو المحافظة على تميز الذات والهوية، مما يجعلها تكتسب خصوصيّة تسمو بها عن سائر الثقافات، تلك الخصوصية الثقافية تجعل أعضائها يزدادون انتماءً اليها.

ومهما علت درجة تلك الثقافة تبقى في آخر الأمر جزءا من الكيان الانساني ذاته والذي يحرص الانسان دوما على حمايته. إن عولمة الثقافة بالمفهوم الدارج للوهلة الأولى قد يبدو لدى البعض «هيمنة» ثقافة معينة على ثقافة أخرى. ولكن يجب التمييز بين العولمة وأدواتها والهيمنة وأدواتها.

العولمة تستند أساسا الى أساليب تثقيفيّة «ناعمة»

أما الهيمنة باتت تستخدم ادوات «القوة» والضغط المستمدة من حاجة المجتمعات والثقافات الى الخبرات التكنولوجية والميزات الاقتصادية.

إن سيادة ثقافة معينة على ثقافة أو ثقافات أخرى بصورة مطلقة وهو أمر متعذر المنال على أرضية الواقع الثقافي مهما كانت درجة الثقافات المتلقية تواجه الثقافة العربية الآن الغزو الإعلامي/والثقافي عن طريق السماوات المفتوحة، وشبكات المعلومات العابرة للحدود والأزمنة، وتوجهات العرب نحو المساهمة في الشراكة الاقتصادية العالية المتعددة الجنسية الواحدة.

إن الثقافة العربية يجب أن تدرك تمام الإدراك أبعاد تلك العلاقات، وتتعامل معها بحسابات مدروسة مع الأمل في أن تدخل «ثقافة العولمة» من خلال ممارسة دور فاعل ودور الشريك لا دور المتلقي والمستهلك فقط إن قضية العولمة وعلاقتها بالثقافة سواء من حيث القدرة على الدمج الثقافي، او التهميش الثقافي، أو بقاء التميز والتنوع الثقافي، مازالت تلك القضية قائمة وعسى ان تكشف السنوات المقبلة عما بها من مفارقات

اما من وجهة النظر الثقافية في تفسير مفهوم العولمة فهي نتيجة للثورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة وثورة «المعلومات» المتجددة، والتي تواصلت معها أطراف الكوكب المعاش بواسطة الأقمار الصناعية، والأطباق الهوائية الفضائية الناقلة للمواد الإعلامية، فضلا عن انتشار شبكات المعلومات وتواصلها.

<u>وإزاء هذه التحديات فمن الضروري القيام ببعض الواجبات الأساسية ومنها :</u>

1- تدعيم الهوية الثقافية والوطنية دون إغلاق الأبواب أمام الثقافات الاخرى
2- السعي لاستخدام اللغة العربية السليمة والبسيطة في وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري .
3- إيجاد توازن بين رسائل المؤسسات التي تعنى بالجوانب الثقافية والتعليمية ورسائلها التي تعنى بالترفيه والتسلية .
4- دعم القيم الدينية والروحية انطلاقا من دور الدين في تاريخ العرب وتراثهم وحياتهم المعاصرة .
5- تحليل ونقد الرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الإعلام وما تحمله من قيم قد لا تتفق والقيم الدينية والروحية العربية والاسلامية أو تتعارض مع سياسات التنمية .
6- الحفاظ على التراث الثقافي وإثرائه بالربط بين الموروث الثقافي والابداعات المعاصرة .

ثالثاً : الاسلام المناضل والتحديات الحضارية

إن حيوية الاسلام التي تميز بها ولا يزال رغم ما يبدو عليه من مظاهر للتأخر او التناحر او التنافس، واحيانا ينعت بالتخلف، هي تلك الحيوية التي تجعل العالم الاسلامي باستمرار يقبل مبادرات التحدي والهجوم.

إن الغرب بحضارته وايديولوجياته غرس في ابنائه من عامة ومثقفين وعسكريين روح التحدي والهجوم والتهديد، فعاشت العلاقة بعدها لقرون عديدة حالة من التآمر والتهديد والحروب والغزوات الصليبية الى احتلال فلسطين.

فيما يلي بعض مواقف التحدي:

أولا: الاوروبيون والاسلام وشمال افريقيا

خرجت الحضارة الفرنسية من موطنها خلال ق 19 متجهة الى شمال افريقيا مدعومة بالقوة العسكرية المسلحة ومتخفية في ثوب التبشيرية.

1- عينت حكومة الاستعمار الفرنسي الاسقف لافيجيري في عام 1867 اسقفا للجزائر لكي يقوم بواجبه التبشيري في الجزائر ، ولكن رغم كل ما خصصوه له لم يتحول الا عدد قليل من المسلمين عن عقيدتهم.

ثانيا: الاسلام وجنوب السودان:

لا تقل التحديات الحضارية التي تطرقت الى مجال الدين والعقيدة في جنوب السودان، والتي مارستها سلطات الاستعمار الانجليزي عن سابقتها التي مارستها التحديات الحضارية الفرنسية من تحت رداء الارساليات التبشيرية في شمال افريقيا. إن الجهود المشتركة افلحت في جعل السودان الجنوبي الى حد ما مسيحيا معاديا للاسلام ساعد ذلك على تحويل السودان الجنوبي على يد الاستعمار الانجليزي منذ عام 1922 الى منطقة مغلقة.

منع الاستعمار الانجليزي استخدام اللغة العربية في المدارس والتعليم بجنوب السودان وتم منع الاستعمار المسلمين من اداء شعائهم الدينية علانية ورغم أن تلك القيود قد ظلت مطبقة منذ اوائل القرن العشرين، الا انها لم تنته الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورغم انتهاء العمل بها رسميا الا انها خلقت حالة غير مستقرة غرسها الاستعمار الانجليزي.

اما جهود تحويل المسلمين عن عقيدتهم فهي لم تفلح وفشلت في استغلال الدين واقحامه في بؤرة الصراع الحضاري. لم تكن سياسة التحدي الحضاري التي يتخذها الغرب وسيلة في محاربة الاسلام والثقافة العربية لم تكن وليدة عصر بعينه منذ ان نهض الاسلام في الاندلس نهضته القوية تشكلت لدى الاوروبيين بوادر الشك والريبة والسعي الى محاربة ذلك المارد القادم من الشرق

لم يكن موقف الاسلام في أقصى الأطراف الشرقية من العالم كجزر الهند الشرقية واندونيسيا أحسن حالا من غربها فقد عمد الاستعمار الهولندي الى محاربة ما أسماه « فيروس الاسلام المناضل» الذي ينتقل إلى الاندونسيين خلال موسم الحج عن طريق اتصالهم بغيرهم من المسلمين.

وفي عام 1825 وبعد أن فشلت حكومة الاستعمار الهولندي في تخفيض عدد الحجاج الاندونسيين اتجهت الى فرض رسوم مبالغ فيها على كل حاج . ورغم كل ذلك تزايدت أعداد الحجاج الاندونسيين مما دفع الهولنديين الى الى وضع قيود أشد عنفا وقسوة سنة 1859 إن النظرة الضيقة التي ينظر به الغرب الى الاسلام وتشويه صورته وربطها بالمظاهر السلبية كالعنف والارهاب ودونية مكانة المرأة، ولصق تلك الصور المسيئة بالمسلمين دون غيرهم، جعلتهم يتناسون أن:

الاسلام هو أسلوب متكامل للحياة له تأثيره في كافة جوانب الوجود الانساني.

الاسلام يقود حركات الانسان وأنشطته ويوجهها في كل أبعادها الفردية والجماعية والمادية والمعنوية سواء كانت أخلاقية ام قانونية أم ثقافية، فالإسلام بهذه الصورة ثقافة وحضارة معا الاسلام هو نظام متكامل وطريقة حياة تبدأ بقواعد النظافة الشخصية وتوجيهات المأكل والملبس مرورا بالعبادة وأسلوب الحكم والادارة وانتهاء بقواعد الحياة الأسرية وتنظيم المواريث الاسلام بذلك دين ودولة ولكل مسلم ان يفخر بذلك لأنها مسائل لا تتوفر في غيره من الشرائع

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((تسعى الثقافة العربية الى المحافظة على تميز الذات والهوية، مما يجعلها تكتسب خصوصيّة تسمو بها عن سائر الثقافات))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل

المحاضرة الثامنة

الثقافة العربية ومخاطر التحدي الناعم

اولاً : الثقافة العربية ومخاطر التحدي «الناعم»

إن التحديات الصادرة من الغرب لا تزال قائمة، وإن لم تكن لها الصبغة الدينية القديمة الصارخة منذ بدايات القرن الخامس عشر ميلادي وحت نهاية الربع الأول من القرن العشرين.

مخاطر «القوة الناعمة» فهي عبارة عن اسلوب جديد من التحدي الحضاري، بعد أن أخفق الغرب في تحدياته الدينية والعقائدية والسياسية والعسكرية في تعامله مع العرب وثقافة الاسلام وقيمه والعقائدية والسياسية والعسكرية في تعامله مع العرب وثقافة الاسلام وقيمه.

تتمثل القوة الناعمة في استخدام وتوظيف الافكار الداعمة للسياسات الثقافية التي تحرك الى الامام نحو الفكر العولمة الذي بدأ منذ نهاية القرن العشرين في تصدير لنسق اعلامي لخدمة السوق التجاري / الاستهلاكي، والنظر الى ثقافة في هذا الاطار على انها سلعة او بند من بنود البيع والشراء. وكان على هذه السوق ان تبحث عن مستثمريها ومروجي بضاعتها وعملائها

إن الثقافة الحية والمتجددة المقرونة بالفكر الناضج الواعي تعد العامل الرئيسي والأساسي والمنهج المتكامل لعلاج وحل ما يواجهه الانساني من مشكلات متعددة ومتراكمة عبر التاريخ الطويل.

فإذا كانت الثقافة ضرورية في الحالة الوظيفية الطبيعية لسير حركة المجتمع واستقراره النسبي، فإنها دون ادنى شك تكون بالغة الضرورة والأهمية في مراحل التطور والانطلاق والتغير المقصود التي يمر بها المجتمع وذلك من أجل العمل على إعداد المواطن المستنير الواعي المؤمن بقيم مجتمعه ومثله العليا، والأكثر من ذلك مقدرته على التمسك بها في ضوء إدراكه لمسؤولياته التاريخية

إن الثقافة غالبا ما توضع في حالة المجتمع المتغير، وضع الاختبار والتحدي، حيث يسعى أعضاؤها إلى إرساء وتحديد اتجاهات فكرية جديدة، لا تكون هي الشغل الشاغل للفئة المثقفة أو ممن يطلق عليهم «المثقفون»، وانما هي مرحلة ارساء لجذور الفكر الثقافي المتغير في نفوس وأذهان العامة، بما فيها الطبقات والفئات العاملة بشتى اتجاهاتها، وأنشطتها وذلك من اجل الارتقاء بالكيان الفكري والسلوكي للافراد، وبما يخدم المصلحة الحقيقية للمجتمع سواء على المدى البعيد او القريب.

إن مفهوم هوية الثقافة وذاتيتها قد انتقل غيره من ميدان الدراسات الانثروبولوجية وميدان علم النفس الاجتماعي الى ميدان الدراسات الدبية والفنية لا سيما وان ظهور الانثربولوجيا ونموها جاء مهتما بمفهوم الأصالة والذاتية والهوية لسمات الثقافة ومدى انغلاقها وانتشارها بين الشعوب

ركزت الدراسات الانثروبولوجية على العناية بفلكلور الشعوب والمجتمعات المحلية / التقليدية وكشاهد على الشخصية الأساسية، كما ركزت على العفوية الموجودة للحكايات والاغاني الشعبية

تعتبر الذاتية الثقافية أو الهوية مصدرا لقوة المجتمعات والأمم تكون قيمة الثقافية لا في الانغلاق والانعزال والتقوقع وانما في الاستلاب والهضم بما لا يضعف الأصالة او نفيها

ثانياً : العولمة والثقافة: تقويض ام توظيف

إن العولمة بأساليبها ومبادئها وأهدافها المختلفة وانما تسعى الى تحطيم حواجز الزمان والمكان، والتفنن في القدرة على الاختراق الى حيث توجد أماكن الانغلاق الثقافي القيمي اينما وجدت

فإذا تحقق العولمة هذا فهو إنجاز لها، وإذا لم يتحقق فهو إخفاق لها، ومن ثم عليها معاودة المحاولة تلو المحاولة حتى تصل الى مآربها بشتى الطرق والوسائل، ويبرهن على ذلك ما في العولمة وتاريخها ينبئ مستقبلها بأشياء ونتاجات ثقافية وسلوكية قد لا تصورها عاقل.

إن لكل مجتمع ثقافته الخاصة والتي توصف أحيانا «بالتقليدية» نظرا لشدة خصوصيتها والتي تتشكل من مجمل أساليب الحياة فتتداخل مكوناتها وعناصرها من القيم والرموز والأخلاق والمعتقدات والمفاهيم والأمثال والمعايير والتقاليد والأعراف والعادات والوسائل والمهارات والآداب والتصرفات،.

إضافة الى الابداعات التعبيرية من فن وأدب وموسيقى ورسم ونتاج فكري في مجالات العلوم والفلسفات والمذاهب والايديولوجيات والعقائد والنظريات وكافة ما يشمل السلوكيات الانسانية وموجهاتها

وتتحدد للثقافة وظيفتين رئيسيتين هامتين هما

الأولى:

أن الثقافة بشقيها المادي والمعنوي في أي مجتمع من المجتمعات الانسانية أوجدها الانسان أو اختراعها من أجل حل مشكلاته التي تواجهه هو وأقرانه في الحياة اليومية.

فتساعد من مقدرته في التحكم والسيطرة على كل ما يؤدي الى عرقلة سلوكياته وأفعاله.

الثانية:

هي قدرة الثقافة على الانتقال من جيل إلى جيل آخر بوسائل متعددة:

ولسنا في حاجة الى سرد النتاج الثقافي العالمي ومدى عونه ومساعدته لحل مشكلات الانسان لانه يعتبر سجلا حافلا بالانجازات والكم الهائل من المنتجات الثقافية والذي لا تتردد ثقافة دون اخرى في استخدام منتجه.

والثقافة العربية بطبيعتها التقليدية يساورها دائما هاجس الخوف فتظل على طبيعتها المتسمة بالحذر تجاه استخدام المنتج الثقافي لا سيما إن كان المنتجون له غير عرب.

هكذا يتضح أننا نسعى الى استخلاص ما يميز الثقافة العربيّة في تقليدتها.

وهي ميزة أو خاصية « التردد» والترقب» والحيطة والحذر وهو وصف لم يقف عند حد الثقافة الشعبية في عمومتيها.

إذا كانت العولمة بمنظور الاقتصاد السياسي تعني الكثير في التعجيل بتحطيم حواجز الزمان والمكان أمام التجارة الحرة الطليقة، حرية انوإما العمل على تقويضها وبما يحقق لها أغراض وأهداف التوسع والانتشار، فأن تاريخ وضعية السياسة العربية في المجال والكيان والبنية الاقتصادية العربية يشير الى ان هناك «عثرات» وعراقيل اتسمت بالتردد والحيطة والحذر.

بغض النظر عن طرح أسباب أسباب العرقلة داخلية كانت ام خارجية، فإن الحديث عن وضع استراتجية عربية للتكامل الاقتصادي العربي، والاتفاقيات الثقافية والاقتصادية والجماعية، والتعاون المشترك والتعاون الجزئي والمشروعات المشتركة وصناديق النقد العربية المشتركة وآخرها إقامة السوق العربية المشتركة.

تقلصت فكرة إقامة السوق العربية المشتركة الى التفكير في إقامة»مناطق حرة للتجارة العربية بين بعض البلدان العربية وبعضها البعض، فان كل ذلك يجعل الانسان العربي يرى المشوار طويلا امام العرب وثقافتهم في ان يكونوا «فاعلين» ومشاركين مع «الذات» والآخر» تقال رؤوس الأموال والأفراد، الغاء الحواجز الجمركية والقيود البيروقراطية تنشيط عقم القوانين المحلية.

أن المقومات الموضوعية لقيام السوق العربية المشتركة فيما بين البلدان العربية لم تجهز بعد

هناك بعض المعوقات اهمها:

1- فقدان البنية الأساسية والأولية لقيام السوق العربية المشتركة والتي تتمثل في غياب المنظور العربي تجاه المستقبل الاقتصادي، وبما يحقق آمال وطموحات الدول العربية من خلال تكتل اقتصادي يحمي وضعها من مخاطر التكتلات الاقتصادية الكبرى في العالم.

2- تشابه الانتاج السلعي وتكراره فمن المعروف ان اقتصاديات الأسواق المشتركة ذات الصيغ الكبرى في التعاملات الاقتصادية تتطلب تمايزا بين اقتصاديات الدول المشاركة، وهنا يتم التكامل في ضوء التمايز الانتاجي

ثالثاً : مصادر قوة الثقافة العربية

إن الثقافة قوّة فاعلة من قوى البناء الحضاري في مدلوله الشامل، الفلسفي والأدبي، السياسي والاجتماعي، الاقتصادي والتنموي. والثقافة طاقةٌ للإبداع في شتّى حقول النشاط الإنساني، ثم إن الثقافة البانية الهادفة الفاعلة، لابد وأن تكون في خدمة السياسات التي تتجه نحو ترقية وجدان الإنسان، وتهذيب روحه، وصقل مواهبه، وتوظيف طاقاته وملكاته في البناء والتعمير، والتي تعمل من أجل تحقيق الرقيّ والتقدّم والرخاء والازدهار.

ولا يتأتّى للثقافة أن تمتلك القوة والمناعة، وتنهض بهذه المسؤولية على الوجه المرغوب فيه، إلاّ إذا توفّرت لها ثلاثة شروط تعتبر من مصادر القوة في الثقافة العربية ، ومن أسس النهضة الثقافية، ومن العناصر الأساس لبنية الثقافة العربية :

أولاً : أن تكون الثقافة ذات مرتكزات تستند إليها ومبادئ تقوم عليها، فلا تكون ثقافة منبتّة الجذور، لا هوية لها تُعرف بها، ولا خصائص لديها تميّزها.

ثانياً : أن تكون الثقافة ذات أفق مفتوح ورؤية شاملة، لها قابليةٌ للتفاعل مع الثقافات الأخرى، ولها استعدادٌ كامنٌ في أصولها للتعامل مع الثقافات الإنسانية من هذه المنطلقات.

ثالثاً : أن تكـون الثقافة ذات منحى إنساني تتخطَّى به المجال المحلّي أو الإقليمي، إلى الآفاق العالمية، من دون أن ينال ذلك من خصوصيتها، أو يؤثّر في طبيعتها، فتكون بذلك ثقافة تَوَاصُل بشري، وتَحاوُرٍ إنساني، وثقافة تفاهم يؤدّي إلى التعايش بين الأمم، وثقافة تعاونٍ يحقق التضامن بين الشعوب.

بتوافر هذه الشروط، لا تكتسب الثقافة العربية القوةَ والمناعة فحسب، ولكنها تكتسب إلى ذلك القدرةَ على السموّ والرقيّ، لأن الثقافة القوية القادرة على البناء،

هي تلك الثقافة التي تسمو بالإنسان إلى المقام الأرفع والمكانة الأسمى. وكما يقول البعض فإن حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع، ومعنى الثقافة، القوةُ الذاتية، أما الحضارة فهي قوةٌ على الطبيعة عن طريق العلم. إن الثقافة تميل إلى التقليل من احتياجات الإنسان، أو الحد من درجة إشباعها، وبهذه الطريقة تُوسّع في آفاق الحرية الداخلية للإنسان

وتلك هي القوة الروحية والنفسية والعقلية التي تمكّن الإنسان أن يمارس وظائفه في الحياة على النحو الذي يرضي خالقه أولاً، ثم يرضي نفسه بعد ذلك.

إن إبراز هذه السمات والخصائص التي تنفرد بها الثقافة العربية ، أمرٌ نراه ضرورياً في سياق الحديث عن الثقافة العربية والثقافات الأخرى، سواء أكان القصدُ من هذا الموضوع هو المقارنةَ التي تعنى بيان أوجه الأشباه والنظائر، وكشف نواحي الالتقاء والافتراق، أم رسمَ حدود العلاقة التي يفترض أن تقوم بين الثقافة العربية ، وبين الثقافات الأخرى.

وفي كلتا الحالتين، فإن المنطلقات الأساس في البحث عن مصادر قوّة الثقافة العربية ، وعن خصائصها، ووظائفها، ورسالتها وأهدافها، ومظاهرها، تستند إلى ثلاثة أسس :

الأساس الأول : إن الثقافة العربية في مبادئها وأصولها، وفي مفاهيمها ودلالاتها، تعبّر عن جوهر رسالة الإسلام السمحة، فهي بذلك ثقافةٌ إنسانية بالمعنى العميق، تنفتح على ثقافات الأمم والشعوب، فتتلاقح وتتمازج وتتصاهر معها، وإن مصدر ثرائها وقوتها ومناعتها يكمن في هذه الخاصية التي لا يعرف التاريخُ الثقافيُّ البشري نظيراً لها.

ولقد حدّد المفكّر مالك بن نبي أربع دعائم تقوم عليها الثقافة العربية ، هي :

أ) الدستور الأخلاقي.

ب) الذوق الجمالي.

ج) المنطق العملي.

د) الصناعة أو (التقنية).

والثقافة التي يعرّفها الغربيّون بصورة عامة بأنها (فلسفة الإنسان)، يحدّها مالك بن نبي بالقول إنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمالٍ أَوَّلى في الوسط الذي ولد فيه. أي أنها المحيط الذي يشكّل فيه الفردُ طباعه وشخصيته. وعلى هذا الأساس تكون الثقافة (نظرية في السلوك) أكثر من أن تكون (نظرية في المعرفة). وفي هذا التحديد يكمن الفرق بين الثقافة والعلم، فالثقافة سلوك، أما العلم فمعرفة. والثقافة بهذا المعنى وثيقة الصّلة بالتاريخ وبالتربية، فليس ثمّة تاريخ لأمة بلا ثقافة، والشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتماً تاريخه، إذ هي الوسط الذي تتكوّن فيه خصائص المجتمع التاريخية من عبقرية وتقاليد وأذواق ومشاعر. والثقافة من ناحية ثانية، تنحدر بمضمونها التربوي من حيث إنها دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوّع الاجتماعي.

الأساس الثاني : إن الثقافة العربية ، في عمقها وجوهرها، ثقافةُ تَدَافُعٍ، لا ثقافةُ تَصَارُع، فالتدافع هو سنةُ الحياة، أما التصارع، أو الصراع، فهو مفهومٌ يعود إلى التراث الإغريقي والروماني الذي عرف أساطير صراع الآلهة، ولا يعبّر عن الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية. وهذا أيضاً منبع من منابع القوة والحيوية والقدرة على الحضور في ساحة التنافس الثقافي، لأن التدافع الثقافي مصدرُ قوّة، في حين أن التصارع، أو الصراع الثقافي، يؤدّي إلى إضعاف الذات، والنيل من القدرات والملكات، ويسير في اتجاه معاكس للغايات الإنسانية النبيلة.

وليس عزوف الثقافة العربية الإسلامية عن الصراع، ضعفاً في تركيبتها أو خللاً في عناصرها الأساس، ولكنه عنصرُ تحضّرٍ فيها، وعلامة نضج ووعي، ومظهرُ صحة. ومن المؤكد أن خاصية النزوع نحو التدافع بدلاً عن التصارع، هي التي مكّنت الثقافة العربية من الصمود أمام الأعاصير الثقافية والفكرية والمذهبية التي واجهتها عبر العصور.

الأساس الثالث : إن كثيراً من جوانب الثقافة العربية ، في أوضاعها ومستوياتها الحالية، مع شديد الأسف والأسى، لا تعبّر عن هُوية المجتمع العربي ، لأنها جوانب يعتريها الضعف من كل النواحي، ولأن هناك تفاوتاً ظاهراً بين المنابع وبين البدائع، ونقصد بذلك أن أساس هذه الجوانب ليس مستمداً في مجمله من المنابع الأصلية، وأن هذه الظاهرة هي مصدرُ الضعف العام في الثقافة العربية الإسلامية في المرحلة التاريخية الراهنة.

إن الثقافة العربية هي ثقافة اجتهاد وإبداع مستمرين في إطار الضوابط الشرعية والقيم الخلقية ، وتعبّر عن هوية الأمة. لذلك فإن عطاء هذه الثقافة، عطاءٌ متجدّد بتجدّد الأحوال واختلاف القضايا والأفعال.

ولا ينبغي أن نخدع أنفسنا فنحسب أن الثقافة هي إبداعٌ وابتكارٌ في المقام الأول، وأن قوّة الإبداع تنبع من عقل الإنسان المثقف المبدع ومن خياله ووجدانه، وأن لا صلة لذلك كلّه بالقيم والمقوّمات. إن هذا وَهْمٌ من جملة الأوهام التي تسود حياتنا العقلية وأجواءنا الثقافية. إن الثقافة العربية لن تقوى على مواجهة الأخطار التي تهددها والتحدّيات التي تواجهها، إلاَّ إذا استمدت قوّتها من جذورها وأصولها، ومن قيم الأمة ومقوّماتها. وليس في ذلك أي نوع من الحجر على الإبداع، أو القيد على التفكير والتعبير

في الختام

أن الانسان سواء كان عربيا، أم غير عربي، هو كيان متطور في أصله، وفكره وثقافته وعاداته، وتقاليده وسلوكياته فما اعتبره جيل أنه قيمة أخلاقية، اعتبره جيل آخر غير ذلك، وما نظر اليه شعب على انه مثال ونموذج ، اعتبره شعب آخر مجرد صورة أو شكل ليس الاّ.

نرى ان العصر العولمة هو عصر الاستيعاب والاكتساب والتفاعل لا عصر الانغلاق والانعزال والتوقع على الذات.

إن التأثير العولمي وإنما مجموعة من الأبعاد الفكرية والمادية الموسومة بالتفاعلية والحيوية والمقدرة على اجتياز الحدود الزمانية والمكانية بمنظورات جديدة

ومن الثابت انثربلوجيًا وحضاريًا ان تكوين الجوهر الأساسي للثقافة، إنما ينبع من الأفكار المتوارثة التي يتم تكوينها واختبارها عبر التاريخ وبشكل خاص من القيم المرتبطة بتلك الأفكار والمكونة لمنظومة ثقافية نابعة من انتاج الفعل الانساني وعلاقته بالآخرين .

كانت علاقات الشرق العربي الاسلامي بالغرب المادي قائمة على مجرد مجموعة من المخاوف والهواجس، لا سيما وان الغرب رغم اغراءاته في تصدير ثقافة الاستهلاك- لا يعتبر من وجهة نظر الالماني ماكس فبير يمثل النموذج المثالي لان الأسس البنائية لحضارة العرب قد لا تتمشى والأسس البنائية لبعض الحضارات ومنها حضارة الشرق الاسلامي المبنية على أسس وثوابت متينة.

مع تجاوز الحدود الزمنية والتاريخية المفروضة من واقع ماضي التجربة الانسانية في العلاقات، ومع ظهور واقع جديد وعالمية جديدة احادية القطب والطرف المتعدد او متعددة الأطراف، أيّا كانت صيغتها،،،،

فإن ثقافة العرب العرب بما لديها من مقومات حضارية ووسائل انتاج وملكات للوعي تجد لزاما عليها، ومن بين مقدراتها –راهنا- عدم الانسحاب من ساحة التفاعل وبنية العلاقات، لأن من ينسحب أو يتقهقر فهو بدون شك هو الخاسر.

والمرحلة القادمة بكلّ مؤشراتها تنبؤ بأن المقاطعة غير مجدية من شأن الاتصال الثقافي والبشري المكثف الذي يحدث الآن في ظل العولمة وعلى هذا النطاق أن يخلق شتى أنواع التوتر والضغوط على النسق الحضاري المحلّي. وعلى القيم والعادات والتقاليد.

انه بدون شك أن نتائج ظاهرة الاتصال الثقافي المكثف تتمثل في تلك الازدواجية أو الانفصام المتزايد بين التقاليد والأعراف التي يقرها المجتمع بصورة علنية، وبين السلوك الشخصي الذي يمارسه الفرد بينه وبين ونفسه.

يصدق ذلك خاصة إذا تم استعراض مظاهر التوتر والضغوط كالجرائم والمشكلات الاجتماعية بشتى انواعها. والخوف هنا يكمن أنه في ظل تسارع الخطى في عصر العولمة من ان يجعل الوعي العربي من نقطة انطلاقه نحو المستقبل وجهة نحو الماضي.

وذلك بغرض استحضار وإعادة بناء ذلك الماضي بالشكل الذي يجعله في خدمة قضيته الذاتية ومهما يكن من أمر، فإن مثل هذه النظرة وهذا الفعل يمثّل حالة «مرضية» ندركها في الواقع المعاش في عجزها الواضح عن تحقيق أكيد وإيجابي لسياسة الحاضر، ومن ثمة فإن فقدان تطبيق أحلامها في عالم الواقع يجعلها تتجه الى الماضي وذكر محاسنه، لا لشيء إلاّ لتوظيفه في تجميل الصورة امام وعي المجتمع.

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((لا يتأتّى للثقافة العربية أن تمتلك القوة والمناعة، إلاَّ إذا توفّرت لها شروط تعتبر من أسس النهضة الثقافية))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل